هاروت وماروت

مسرحية

في أربعة فصول

تأليف

علي أحمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

﴿ وإذ قال ربُّك للملائكةِ إنى جاعل فى الأرض خليفةً
* قالوا أتجعل فيها من يُفسد فيها ويَسفِك الدماءَ ونحن نسبّح
بحمدك ونقدس لك   قال إنى أعلم ما لا تعلمون * وعلَّم
آدمَ الأسماءَ كلَّها ثم عرضهم على الملائكةِ فقال أنبئونى
بأسماءِ هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علمَ لنا
إلا ما علَّمتنا إنك أنت العليمُ الحكيم * قال يا آدم أنبئهم
بأسمائهم   فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم
غيبَ السماواتِ والأرضِ وأعلم ما تُبدون وما كنتم
تكتمون ﴾ .

(قرآن كريم)

الفصل الأول

رواق ضخم فى القصر الملكى ببابل .

يظهر على يسار المسرح ملتقى ضلعين من أضلاع الرواق المربع الذى يحيط بحجرات القصر وهى مغلقة لا ترى غير أبوابها المفضية إلى الرواق .

الجانب الأيمن من الرواق يؤدى إلى داخل القصر ، والجانب الأيسر يؤدى إلى الخارج ، أما الضلع الرأسى فيؤدى إلى حديقة القصر .

أريكة فى صدر المسرح وحولها مقاعد من يمين وشمال .

يرفع الستار فنرى مناة القهرمانة جالسة على الأريكة وهى تنظر إلى رجل واقف أمامها ومن خلفه أحد موظفى البلاط كأنه يقدمه إليها .

مناة : (تصعد النظر وتصوبه فى الرجل كأنها تختبره ثم تومئ بيدها نحوه) وهذا أيضا لا يصلح . نريد أجمل . (ينصرف الرجل دون أن يقول كلمة ويخرج من الجانب الأيسر)

الموظف : (بصوت عال) ليدخل من بعده !

(يدخل رجل ثان من الجانب الأيمن فيقف حيث وقف

الأول)

مناة : (**تصنع به كالأول**) لا يصلح .. هاتوا غيره !

الرجل : (**كالمحتج**) يا سيدتى إنى راسخ القدم فى القانون البابلى .

مناة : (**فى سخرية**) يعنينا جمال وجهك قبل رسوخ قدمك !

الرجل : لكن ...

مناة : (**فى صرامة**) انصرف !

(يخرج الرجل من حيث خرج الأول)

الموظف : (**مناديا**) ليدخل من بعده !

(يدخل من اليمين رجل ثالث فيقف حيث وقف من قبله)

مناة : هذا بقية رجل أكلته السنون ، نريد شبابا . لا جمال بغير شباب . (**ينصرف الرجل**)

الموظف : (**مناديا**) ليدخل من بعده !

(يدخل من اليمين رابع فيقف حيث وقف من قبله)

مناة : وجه جميل على قوام ضئيل (**تومئ له فينصرف**) هاتوا غيره .

الموظف : ما بقى أحد يا سيدتى . هذا آخرهم .

مناة : يا ويل بابل أوَقد قل فيها جمال الرجال إلى هذا الحد ؟ ألا يوجد فيهم واحد يستحق أن يتولى هذا المنصب الرفيع ؟

الموظف : قد تقدم لك حتى الآن مائة وخمسون رجلا ، ليس بينهم من حاز رضاءك ، فلو تساهلت قليلا يا سيدتى فى شروطك .

مناة : كلا لن أتساهل فى شروطى ، إن منصب القضاء منصب رفيع لا ينبغى أن يتولاه إلا من تتوافر فيه مقاييس الجمال .

الموظف : معذرة يا سيدتى ، ليس أمامك إذن غير هرمس فاختاريه .

مناة : هرمس ! هل يقبل هرمس أن يتقلد لنا أى منصب ؟ هذا رجل يعيش بيننا وليس منا (**تتنهد فى حسرة مكبوتة فى أعماق قلبها**) رجل جميل حقا ولكنه لا يصلح لشىء !

الموظف : إذن فلن تجدى من يصلح .

مناة : الثلاثة الذين رأيتموهم فى السوق صباح أمس ، كان يجب أن تقبضوا عليهم فتأتونى بهم .

الموظف : ما كنا نعرف عنهم شيئا فلعلهم لا يصلحون للقضاء .

مناة : ألم تقولوا إن وجوههم كالأقمار ؟

الموظف : بلى يا سيدتى ، ولكن ...

مناة : لا تجادلنى ، وحق الآلهة لئن لم تأتونى بهم لأوقعن بكم أشد العقاب .

الموظف : عسى أن يعثر عليهم زميلاى فقد خرجا يبحثان عنهم منذ الصباح ، ولكننى أخشى أن يكونوا قد برحوا المدينة ، فأغلب الظن أنهم من الغرباء .

مناة : لا تحاول أن تتنصل من التبعة ، فلن يعفيكم من العقوبة أى عذر .

الموظف : (**يبتهل**) أيتها الآلهة كونى لنا عونا فيما نريد .

مناة : (**تنظر أمامها ناحية المدخل**) ها هما زميلاك قد أقبلا .

الموظف : (**يهتف فرحا**) ومعهما الرجال الثلاثة . حمدا للآلهة !

(**يدخل رجلان من موظفي القصر ، وخلفهم ثلاثة رجال طوال القدود حسان الوجوه ، فتنظر مناة إليهم فى دهش وإعجاب**)

حمدا للآلهة ، أين وجدتماهم ؟

الرجلان : فى أحد أطراف المدينة ، عند فلاح أضافهم فى كوخه .

الموظف : (**لمناة**) ألم أقل لك يا سيدتى إنهم غرباء عن المدينة ؟

مناة : (**للرجلين**) لقد أديتما ما عليكما فاستريحا .

الرجلان : شكرا يا سيدتى (**يخرجان**) .

مناة : (**ترنو مليا إلى الغرباء الثلاثة ثم تقول لهم ملاطفة**) هل لى أن أعرف أسماءكم ؟

أحدهم : اسمى هاروت .

ثانيهم : واسمى ماروت .

ثالثهم : عزريائيل .

مناة : (**فيما يشبه الغزل**) أسماؤكم حلوة كوجوهكم .

(**تومئ لهم أن يقتربوا فيقتربون منها**)

ترى أية إلهة من إلاهات الحسن أنجبتكم ؟ من تكون أمكم !

الثلاثة : (**يتلعثمون فى ارتباك**) نحن .. نحن لم تلدنا أم .

مناة : (**فى دهش**) لم تلدكم أم ! كيف إذن جئتم إلى الوجود ؟

هاروت : (**مستدركا**) لم تلدنا أم واحدة .

مناة : عجبا .. لكأنما صببتم فى قالب واحد ، لا شك أن أمهاتكم قد أحسن اختيار بعولتهن . (**يبدو عليهم الارتباك وكأنما يريدون أن يعترضوا على كلامها**) أراكم لا تميلون إلى ذكر أمهاتكم وآبائكم ، لا حرج عليكم . أنتم مقبولون لمنصب القضاء فى هذا الحى الجديد من العاصمة .

الموظف : الثلاثة جميعا ؟

مناة : نعم .. لا ينبغى أن نفرط فى واحد من هؤلاء ، أين نجد مثلهم ؟

الموظف : ألا تسألين يا سيدتى عن مؤهلاتهم ؟

مناة : (**تنهره محتدة**) ما شأنك أنت ؟ إن لم تكن عندهم مؤهلات ففى وسعهم أن يستكملوها . أما الجمال فأنى به لذى وجه دميم كوجهك ؟

الموظف : (**يتحسس وجهه بيده**) دميم ؟ أنا أجمل وجها من كثير من موظفى القصر .

مناة : (**تنهره**) كفى اعتراضا ، اذهب فسل مولاتك الملكة أن تتفضل بالنزول لتعاين القضاة الجدد .

الموظف : سمعا يا سيدتى (**يخرج من الجانب الأيمن**) .

مناة : (**بصوت خافض**) إنى سألزم الملكة بتوليتكم جميعا أنتم

الثلاثة ، وسأفرض لكم أعظم الرواتب فى الدولة .

هاروت : شكرا يا سيدتى . نحن يكفينا القليل .

مناة : كلا .. يجب أن تكونوا فى مرتبة كبار الموظفين فى الدولة .

ماروت : نشكرك يا سيدتى على حسن صنيعك .

مناة : (**تقرص خده**) أيها الفاتن الجميل لا تشكرنى بلسانك !

ماروت : فكيف أشكرك ؟

مناة : تجزينى جميلا بجميل . (**تنقل طرفها بين الثلاثة كأنها تفهمهم أن الحديث موجه إليهم جميعا**) أنا لا أطمع منكم فى كثير فإنى لا أصبر على طعام واحد . هكذا أنا منذ كنت .

(يزداد ارتباكهم ولا يدرون ماذا يجيبون ، وما أنقذهم من ذلك إلا دخول الملكة)

(تدخل إيلات متكئة على ذراع زوجها بعل ، فى وضع ينطق بمقدار الحب الذى يربط بينهما فيراع الملائكة الثلاثة من جمالها الباهر ، أما هى فلم تكترث كثيرا إذ كانت مشغولة عنهم بزوجها قاصرة الطرف عليه)

إيلات : (**كأنها تكمل حديثا لها مع زوجها**) تبا لك يا حبيبى .. كيف يخطر مثل هذا فى بالك ؟ ألا تعلم أنى لك وحدك وجميع ما أملك ؟

بعل : (**كالمتضايق من التحدث بهذا أمام الآخرين**) سنعود إلى هذا الحديث فى وقت آخر .

إيلات : (**تقرص ذراعه فى دلال**) كلا ، حتى تبتسم لى فأعرف أنك قد رضيت .

بعل : (**يبتسم**) ...؟

إيلات : ما أحلى ابتسامتك . وجلال الحب لآخذنها من فمك لأحفظها فى قلبى !! (**تقبله فى فمه ثم تلتفت إلى مناة فى هيئة جادة**) هل وجدتم من يصلح أن يخلف قاضينا المرحوم ؟

مناة : نعم يا مولاتى وجدنا هؤلاء الثلاثة .

إيلات : على أيهم وقع اختيارك ؟

مناة : عليهم جميعا يا مولاتى .

إيلات : أليس يكفى قاض واحد ؟

مناة : لا يا مولاتى ، إن الحى الجديد قد اتسعت أطرافه وتضاعف سكانه ، وقد كان والدك المرحوم ينوى أن يزيد فى عدد قضاته لو لم يعاجله القضاء المحتوم ، انظرى يا مولاتى .. إنهم أجمل من بعض .

إيلات : (**تبتسم ابتسامة ذات معنى كأنها تقول لها قد فهمت غرضك**) وليهم يا مناة فإنى موافقة (**تنهض وتأخذ بيد زوجها ناحية اليسار**) تعال يا حبيبى نتجول قليلا فى الحديقة .

مناة : (**تتبعها**) مولاتى . على رسلك يا مولاتى .

إيلات : هل بقى عندك لى شىء ؟

مناة : نعم .

إيلات : اتبعينا إذن (**تخرج هى وبعل**) .

مناة : (**للثلاثة**) انتظروا مكانكم حتى أعود (**تخرج**) .

هاروت : (**لعزريائيل الذى كان أشدهم انبهارا بجمال الملكة ، والذى يرنو الآن فى ذهول إلى حيث خرجت الملكة**) ما خطبك يا عزريائيل ؟ ماذا دهاك ؟

ماروت : إياك أن تقع فى الفتنة من أول يوم .

عزريائيل : (**فى عصبية مفاجئة**) أستغفر الله ، أستغفر الله ، اسمعا يا أخوى يجب أن نعود إلى السماء .

ماروت : نعود إلى السماء ؟

عزريائيل : فى الحال قبل أن تلتهمنا الفتنة فى الأرض .

هاروت : ماذا نقول لإخواننا الملائكة إن عدنا إليهم فى الحال ؟

عزريائيل : سنعترف لهم بأننا لا نقوى على مغالبة هذه الشهوات التى ركبت فينا ، وأننا لسنا خيرا من بنى آدم .

هاروت : ألا تعلم أننا سنجر عليهم بذلك أعظم العار ؟

ماروت : وأنهم لن يستطيعوا أن يرفعوا رءوسهم بعد ذلك من الخجل ؟

عزريائيل : ذلك أهون على كل حال من أن نسقط فى التجربة فتكون فضيحتهم أكبر .

هاروت : ثم ماذا نقول لربنا عز وجل ؟

عزرياثيل : سنسأله أن يعفينا من هذه التجربة ، ويعفو عنا وهو العفو الرحيم .

ماروت : لو أننا استعفيناه قبل أن يهبطنا إلى الأرض لكان ذلك أحجى .

هاروت : أما بعد أن قبلنا على أنفسنا هذه التجربة فليس يجمل بنا التراجع ، وإلا كان اعترافا صريحا منا بأن إيماننا بالله أضعف من أن يحتمل هذه التجربة .

عزرياثيل : رجوعنا إلى الحق خير من تمادينا فى الباطل .

هاروت : ألا نصبر قليلا حتى نرى ما يكون من الأمر ؟

ماروت : أجل ، فى وسعنا أن نصعد فى كل وقت فلنبق حتى نوقن بالخطر .

عزرياثيل : أنا قد أيقنت أننى هالك إن بقيت ، لا وعزة ربى لا أرانى أقع فى معصيته بعد ما عبدته طوال هذه الدهور . وداعا إلى صاعد . (**يختفى**)

(**تعود مناة**)

مناة : أين ذهب زميلكما ؟

(**يرتبك الملكان**) ... أين ثالثكما ؟

ماروت : لا ندرى أين ذهب .

مناة : ألم ترياه أين توجه ؟

هاروت : توجه هذه الناحية . (**يشير إلى جهة اليمين**)

مناة : ويل له . يتجول داخل القصر دون إذن ؟ أين يظن نفسه ؟

(**تصفق فيدخل الموظف**) أين ذهب الرجل الثالث ؟

الموظف : لا أدرى يا سيدتى .

مناة : ألم تكن الساعة فى ديوانك ؟

الموظف : بلى .

مناة : فكيف لم تره إذ مر قدامك إلى داخل القصر ؟

الموظف : كلا ما مر قدامي أحد .

مناة : ابحثوا عنه وأتونى به فى ديوان التسجيل .

الموظف : سمعا يا سيدتى . (**يخرج من جهة اليمين**)

مناة : هلما معى لنحرر لكم براءة التولية . (**يخرج الثلاثة من اليمين**) .

(**تدخل إيلات وبعل وهما يتحاوران**)

إيلات : لو بقينا قليلا فى الحديقة فإن هواءها أجمل .

بعل : (**فى برم**) الحديقة كغيرها اليوم عندى .

إيلات : يا لى منك يا بعل .. ألا نستطيع أبدا أن نصل بيننا إلى وفاق ؟

بعل : الوفاق كان بيننا على أحسن ما نحب وأنت التى أخللت به .

إيلات : أمن أجل أنى استبدلت ثوبا بثوب ؟

بعل : بل استبدلت سلوكا بسلوك . كنت محتشمة فأصبحت مبتذلة .

إيلات : هل تغير شيء من سلوكى نحوك ؟

بعل : يكفى أنك ما عدت تراعين شعورى كالأول .

إيلات : تذكر يا حبيبى أنك تعيش فى بابل ، لا عند قومك فى مملكة الرعاة .

بعل : إنما رضيت المقام فى بابل من أجلك أنت ، ولـو شئت لحملتك معى إلى ديار قومى .

إيلات : يا ليتك كنت فعلت . إذن لعشت اليوم سعيدة معك فى البادية .

بعل : ما زال ذلك فى الإمكان يا إيلات ، ستجدين أبى يرحب بقدومك ، وستجدين قومى يخلصون فى حبك .

إيلات : الآن يا بعل بعد ما أقسمت يمين الإخلاص لعرش بابل وشعب بابل ؟

بعل : أختك العزى ستخلفك .

إيلات : (فى غضب) ويلك أتريدها أن تشمت بى وتعلن انتصارها على ؟ إنها تحسدنى وتسعى لخلعى ، أفأحنى لها رأسى وأقول لها ها هو ذا التاج فالبسيه ، وها هو ذا العرش فاجلسى عليه ؟

بعل : فاتركيها إذن ولا تبالى بما تصنع .

إيلات : أتركها تبرز للناس مفاتنها دون أن أقاومها بنفس السلاح ؟

بعل : هذا السلاح لا يصح أن تستعمله ملكة محترمة !

إيلات : يا حبيبى أى احترام يبقى لى إذا ما خلعنى الناس وولوها مكانى ؟

بعل : هذا مستحيل . لن يفضلوها عليك أبدا .

إيلات : قد دعوها إلاهة الجمال وهتفوا بحياتها فى الشوارع والميادين .

بعل : أتبارينها يا حبيبتى فيما يأباه الذوق ؟

إيلات : أنت تعلم يا حبيبى أن الذوق لا يأباه عند أهل بابل .

بعل : ويأباه الشرف .

إيلات : الشرف فى بابل هو الجمال ، والجمال هو الشرف .

بعل : غدا تخرج أختك العزى عارية للناس .. فماذا أنت صانعة ؟

إيلات : سأفعل مثلها ، لن أدعها أبدا تغلبنى عند جماهير الشعب .

بعل : كلا لن أسكت على ذلك أبدا .

إيلات : ما خطبك يا بعل ؟ أتشك فى حبى لك ؟ أتخشى يا حبيبى أن يظفر بقلبي أحد سواك ؟

بعل : كيف يبقى لى حبك ، وجسدك نهب لعيون الناس ؟

إيلات : أى بأس فى ذلك ؟ العيون لن تأكل من جسدى شيئا ، فسيبقى جسدك بل كلى وقفا عليك .

بعل : كل هذا من مناة .. هى التى أفسدت عليك أمرك .. هذه الخليعة الفاسقة !

إيلات : (محتدة) كلا لا تشتمها يا بعل ، إنها القيمة على طقوس المعبد وتقاليد القصر .

بعل : تبا لها من فاجرة .

إيلات : صه ، لا يسمعنك أحد تقول ذلك ، هذه من راقصات المعبد المقدس ، والمعبد المقدس هو الذى اختارها لتعمل عندنا فى القصر .

بعل : لعنات الآلهة على ...

إيلات : (**تضع يدها على فمه**) صه .

(تدخل القهرمانة وفى يدها أوراق وخلفها هـاروت وماروت)

مناة : (**تقدم الأوراق للملكة**) هذه براءة التولية يـا مـولاتى لتوقعيها .

إيلات : (**تتصفح الأوراق**) هاروت وماروت .....

(يسمع فى الخارج صوت قوى يهدر فى جنبات القصر)

الصوت : إيلات ! يا بنت يغوث ، يا إيلات !

إيلات : وى ! هذا صوت هرمس !

مناة : (**متمتمة**) أف ! ماذا جاء به اليوم ؟

(يتبادل هاروت وماروت النظرات)

بعل : (**ينهض فى خفة**) سأنظر ما خطبه . هل آذن له بالدخول إليك ؟

إيلات : أنت تعلم يا حبيبى أنه لا يرد .

(يخرج بعل منطلقا)

مناة : لو كنت مكانك يا مولاتى لقطعت صلته بالقصر ..

إيلات : كيف أقطع صلته يا مناة ، وهو الذى أقر السلام بين أبى وبين

ملك الرعاة ، فكان السبب فى زواجى من حبيبى بعل ؟

مناة : ماذا يأتينا منه اليوم غير التوبيخ والتقريع ؟

إيلات : إنه ينصحنى كما كان ينصح أبى ، ولى أن أقبل نصحه أو أرفضه كما كان أبى يفعل معه .

(يعود بعل ومعه هرمس ، وهو كهل مديد القامة مهيب الطلعة وسيمها ، قد وخط رأسه ولحيته بعض الشيب فزاده وقارا وروعة) .

إيلات : **(تقف له احتراما وتستر ما أمكنها ستره من جسدها)** مرحبا بك يا هرمس .

(ينظر الملكان أحدهما إلى الآخر كأنهما يتعجبان من احترام الملكة لهرمس)

هرمس : أأنت أمرت حرسك أن يمنعونى من الدخول ؟

إيلات : قسما بربك يا هرمس ما فعلت .

هرمس : فمنذا أمرهم ؟

مناة : ما أمرهم أحد ، هكذا يصنعون مع الجميع .

هرمس : **(غير ملتفت إلى القهرمانة بل موجها حديثه إلى الملكة)** يجب أن تفهميهم أننى لا أجىء إلى القصر أستجديك بل أنصحك وأهديك .

إيلات : معذرة يا هرمس ، لأعاقبنهم على سوء صنيعهم معك .

هرمس : **(يلين لهجته)** حنانك يا إيلات لا تعاقبينهم ، بحسبك أن

ترشديهم .

إيلات : تفضل يا سيدى اجلس ، ماذا قطعك عنا من أمد طويل ؟

هرمس : (**يجلس ويتنهد**) ما قطعني عنك إلا أن نصحى ليس له سميع .

مناة : (**فى شىء من السخرية**) فهل طمعت اليوم أن نسمع لك ؟

هرمس : (**ماضيا فى عدم الالتفات إلى القهرمانة**) اليوم لا سبيل إلى السكوت ، ما هذه السنة السيئة التى انتهجتها أخيرا يا إيلات ؟ كيف تخرجين إلى الناس كاسية عارية ؟ أما تستحين ؟ أما تخجلين ؟

بعل : أجل قل لها يا هرمس .

إيلات : هذه سنة النساء فى بابل ، أنا لم أبتدعها يا هرمس .

هرمس : أنت ملكة بابل يا إيلات ، وقد كف نساؤها عن كثير من خلاعتهن وتبرجهن اقتداء بك ، إذ كنت مثال الحشمة والحياء الجميل ، فماذا دهاك اليوم حتى انقلبت من النقيض إلى النقيض ؟

(تظهر العزى من جهة اليسار ، تمشى على أطراف قدميها حتى تقف قريبا من القوم دون أن يشعروا بها ، وهى فى زى فاضح لا يكاد يستر من محاسنها شيئا وخلفها زوجها يعوق) .

إيلات : هل يسرك يا هرمس أن تجلس العزى مكانى على العرش ؟

هرمس : كلا .. أنت أفضل منها وأمثل .

العزى : (**تظهر لهم**) القول الفصل لشعب بابل يا هرمس لا لك .

(**يراع الجميع فينظرون إليها مبهوتين**)

هرمس : (**فى ثبات**) لا بأس أن تسمع العزى كلمة الحق .

العزى : هل لك أن تشرح لنا يا هرمس بم تفضلنى إيلات ؟

هرمس : إنها أعقل منك وأحكم .

العزى : قل إنها أكبر سنا منى ، هذا كل مزيتها على . (**تتخطر أمامه**) انظر يا هرمس .. انظر إلى !

هرمس : (**يشيح بوجهه عنها**) إليك عنى ويلك ، أهذا ثوب تخرجين به إلى الناس ؟

العزى : (**تطلق ضحكة خليعة**) حتى هرمس افتتن بجمالى فلم يقدر أن ينظر إلى ، لا لوم عليك ، لقد هامت بى جموع الشعب ، فأخذت تحيط بعربتى فى كل مكان وتهتف من كل جانب : تحيا العزى إلاهة الحسن !

إيلات : لا يغرنك هذا ، غدا يهتفون لمن يرونها أجمل منك .

العزى : هيهات ، إن شعب بابل أخبر بالجمال مما تظنين .

إيلات : فلتيأسى إذن من النجاح فيما تحاولين .

العزى : غدا يفصل الشعب بيننا ، فهل تقبلين حكم الشعب ؟

إيلات : نعم .

العزى : اشهدوا يا قوم على ما تقول . **(تهم بالخروج من جهة اليمين ، ولكنها ترتد كأنها تذكرت شيئا)**

إيلات : ماذا عندك بعد ؟

العزى : تذكرى يا أختى أنك مدعوة لحفلة الغبوق اليوم عندى ، إياك أن تتخلفى عنها .

إيلات : كلا يا أختى لن أتخلف .

العزى : من حقك يا أختى أن تدعى إليها من تشائين **(تخرج ويخرج خلفها يعوق)**

إيلات : ويل بابل من بلد يعبد فيه الجمال من دون الله ، وتعبد فيه الشهوة من دون الله ، وتعبد فيه الأصنام من دون الله .

إيلات : لكى تعذرانى .. أنت وبعل .

هرمس : كلا ، هذا لا يعفيك يا إيلات من التبعة ، ليس لك أن تباريها فى هذا الضلال المبين .

إيلات : ما أنت إذن بالناصح الأمين .

هرمس : بلى .. إنى لناصح أمين .

مناة : يا مولاتى : كيف تبغين النصح من رجل يزدرى عاداتنا وتقاليدنا ، ويكفر بديننا وآلهتنا ، ويدعونا إلى الإيمان بذلك الإله الغيور فى السماء ، الذى أفسد على جدك سواع محاولته لغزو الفضاء خشية أن ينافسه فى ملكه ؟

هرمس : تعالى الله عما تقولين يا امرأة ، من ذا يكون سواع أو أعظم

من سواع حتى يغار منه الخالق العظيم ؟ إنما غار عز وجل على خلقه وعباده أن يجور عليهم ذلك السفاح الطاغية .

مناة : اسمعى يا مولاتى ، إنه يشتم جدك الملك العظيم .

هرمس : ويلك منذا يستطيع أن ينكر أن سواع قد طغى وبغى وسفك الدماء ، وأباد أمما بأكملها من جيرانه الأبرياء ، ثم تمادى فى غيه فأراد أن يستغل أسرار الطبيعة التى اكتشفها بعض علمائه ، فأجبرهم على أن يغزوا له الفضاء وينقلوا جنوده إلى الكواكب والنجوم ، حتى يعيث فسادا فى السماء كما عاث فسادا فى الأرض ؟

مناة : إنما أراد أن يرفع مجد بابل ويجعلها سيدة العالمين .

هرمس : الله أكرم وأرحم بعباده أن يخضعهم لقوم فاسقين .

بعل : صدقت يا هرمس ، لو تحقق لسواع ما أراد لاستأصل قومى ، فما بقى لهم وجود على ظهر الأرض .

مناة : إلا إذا اعترفتم بقوة بابل ، وخضعتم لسلطانها كما ينبغى لكم أن تفعلوا .

بعل : كلا نحن لا نخضع لأحد ... إن قومى يؤثرون الموت على حياة الذل والاستعباد .

مناة : (فى سخرية) يا سيدى الأمير ، أى حياة تلك التى يحياها قومك ؟

بعل : الذى حبب تلك الحياة إلى نفوسهم أن مثلك يا مناة لا

تستطيع العيش بينهم .

مناة : لأن الموت خير منها ألف مرة .

بعل : قد يكون الموت خيرا منها عندك ، ولكن الذل ليس خيرا منها عندهم .

مناة : لكنك لا تحب تلك الحياة لنفسك إذ آثرت أن تقيم فى بابل .

إيلات : على رسلك يا مناة ، إنما يقيم فى بابل من أجل حبيبة قلبه !

مناة : لو كان فى بلادهم ما يستحق أن يسمى حياة ، لوجد فيها حبيبة قلبه ، ولما التمسها فى بلد سواها .

بعل : تريدين أن تدفعينى لأقول كلمة تغضب إيلات ، ولكنى لن أمكنك مما تشتهين .

إيلات : دعنى أتول الرد عنك يا بعل : لو صح منطقك هذا يا مناة ، لكان معناه أن ليس فى بابل ما يستحق أن يسمى حياة .

مناة : ماذا تعنين يا مولاتى ؟

إيلات : أنا لم أجد حبيب قلبى إلا من مملكة الرعاة . **(تطوق جيد بعل وتقبله فى هيام)** .

مناة : **(يبدو الامتعاض على وجهها ولكنها تتجلد وتتضاحك)** لقد جئتنى يا مولاتى ببرهان لا يستطيع أحد أن ينقضه .

هرمس : لو لم يكن فى زواجكما إلا أنه وطد السلام بين المملكتين لكفى به يمنا وبركة .

مناة : **(ساخرة)** السلام يا هرمس ؟

هرمس : أجل ، السلام بين الجيران ، بل السلام بين بنى الإنسان حيث لا عداوة ولا خصام ، ولا يبغى بعضهم على بعض .

مناة : كان يكون السلام أفضل لو لم يكن على حساب مجد بابل وسلطان بابل .

هرمس : كل سلام فى الدنيا فهو لحساب بابل قبل أن يكون لحساب أية مملكة أخرى من الممالك ، لأن بابل أحوج إليه من غيرها .

مناة : لو صح هذا الذى تقول لما مات ملكنا العظيم سواع الأول من الحسرة والكمد .

هرمس : (**يوجه الحديث للملكة**) إن مات جدك سواع فقد خلفه أبوك يغوث ، وشتان بين رجل الحرب ورجل السلام ، شتان بين من يميت الناس وبين من يحيى الناس .

مناة : أنت الذى استحوذت على الملك يغوث فحببت إليه سياسة الضعف والمهادنة ، فأنت المسئول عن كل ما حدث .

هرمس : ويلك ، ماذا حدث غير الأمن بعد الخوف ، والرخاء والرفاهية بعد الضيق والشدة ؟

مناة : لأعداء بابل .

هرمس : بل لبابل أيضا ، فهى التى تحتاج إلى ما عند أولئك من المواد والسلع .

مناة : كان فى وسع بابل أن تستولى على كل ذلك بالقوة .

هرمس : سيكون ذلك هو الظلم ولا يفلح الظالمون .

مناة : خير لبابل أن تكون ظالمة من أن تكون مظلومة .

هرمس : أليس خيرا من ذلك كله ألا تظلم ولا تظلم ؟ أليس خيرا لبابل أن يشيع فيها وفى جيرانها السلام والرفاهية ؟

مناة : لا تحاول أن تخدعنا عن حقيقة قصدك ، ما كان قصدك السلام ولا الرفاهية ، وإنما خشيت من يغوث أن يطمح إلى القوة والعظمة ، كما طمح أبوه فيغزو إلـهك فى السماء فيغلبه فى جولة قادمة !

هرمس : تعالى الله عما تقولين ، إن الذى بدد أحلام سواع يوم جمع علماءه فى البرج ليطلقوا منه صواريخهم فى الفضاء ، فبلبل الله ألسنتهم فأصبح بعضهم لا يفهم كلام بعض ، لقادر أن يعيد الكرة مع يغوث لو اتبع سنة أبيه الطاغية .

إيلات : على رسلك يا هرمس ، قد أقررت الآن بما أنكرت ، لو لم يخش إلهك على نفسه وعلى سلطانه من تقدم الإنسان ، لما حاول أن يقف دون جهوده فى اكتشاف أسرار الطبيعة .

مناة : وقد اختص بابل بنقمته ، لأنها تمثل الطليعة فى ركب التقدم الإنسانى .

هرمس : لو تعلمان ما كرم الله به الإنسان لما قلتما هذا القول ، لقد خلق الإنسان على صورته ، واختصه من بين سائر مخلوقاته بالعقل ليكشف به من قوانين الطبيعة وأسرار الكون العظيم ، ما يعينه دهرا بعد دهر وجيلا بعد جيل على الصعود فى مدارج

الكمال التى لا نهاية لها .

إيلات : فى حدود هذه الأرض .

هرمس : وفى غيرها من العوالم التى لا يحصيها سواه .

مناة : يا لك من مغالط بارع .

إيلات : أجل قد وقعت يا هرمس ، ألم يثر ذلك الإله حين رأى أولئك العلماء قد أوشكوا أن يغزوا الفضاء بصواريخهم ، فبلبل ألسنتهم فى البرج لتبقى الأسرار العلمية مخزونة فى صدورهم حتى ماتت بموتهم ؟

هرمس : إنما فعل ذلك يا إيلات رحمة بالإنسان ، لأن الإنسان لم يبلغ بعد من الحكمة والرشد ما يجعله أهلا لأن توضع فى يده مثل هذه القوة الهائلة من قوى الطبيعة ، أن يسىء استخدامها ، فيجر على نفسه كارثة يكون فيها فناؤه ودماره ، ولا يستطيع لها دفعا ولا صرفا .

إيلات : فيم إذن أتاح لأولئك العلماء اكتشاف السر العلمى الخطير ؟

مناة : ربما كان يريد بهم العبث .

هرمس : كلا ، بل لعله جلت حكمته قد أراد أن يرى الإنسان مقدار ما أودعه فى عقله من القدرة على اكتشاف ما فى كونه العظيم من أسرار يمكن أن يسخرها لسعادته وصلاح أمره ، إذا ما قدر له أن يبلغ من الحكمة والرشد ما يتقى به ما فى تلك الأسرار من خطر على وجوده وبقائه .

إيلات : ومتى يبلغ الإنسان رشده وحكمته ؟

هرمس : يوم لا يسيطر سفهاؤه على حكمائه ، ولا يبغى أقوياؤه على ضعفائه ، يوم يسعى زعماؤه فى خدمة أفراده ، ولا يساق أفراده فى خدمة زعمائه ، يوم يشعر المسىء أن إساءته ترتد إليه قبل أن تصيب أخاه . ويشعر المحسن أن إحسانه يعود عليه قبل أن يعود على سواه ، يوم تصبح شعوب الأرض فى تقاربها وتراحمها وتعاونها كأنها شعب واحد ، يعيش فى بلد واحد ويجمعه مصير واحد .

مناة : هذا كلام لا يقوله إلا مجنون .

إيلات : كلا يا مناة ليس هو بمجنون ، ولكنه شاعر حالم .

هرمس : قد علمت أنكم ستقولون عنى هذا القول ، وليس عليكم لوم ، إن آلاف السنين ما زالت تحول بيننا وبين رؤية ذلك اليوم ، ولكنى أؤكد لكم أنه آت لا محالة ، إن الإنسان فى طفولته اليوم ، ولن يبقى فى طفولته إلى الأبد فسيبلغ يوما ما رشده ، مصداقا لمشيئته تعالى إذ خلق الإنسان على صورته ليصطفيه على سائر مخلوقاته ، ويبلغه من الكمالات ما تعجز أذهاننا اليوم عن تصوره .

إيلات : أتراه يسمح له حينئذ بغزو الفضاء والصعود إلى السماء ؟

هرمس : ما الفضاء والسماء وما فيها من الكواكب والنجوم إلا خلق من خلق الله ، فإذا اقتضت حكمة الله أن يصعد الإنسان

إليها ، فلن يكون ذلك مستحيلا عليه ، ليعيش فيها كما عاش في الأرض ، ويستغل خيراتها كما استغل خيرات الأرض ، ويكتشف أسرارها كما اكتشف أسرار الأرض ، فالكون واحد والصانع واحد ، وهو يصرف الأمر بقدرته كما تشاء حكمته ، إذ لا حدود لقدرته إلا حدود حكمته .

إيلات : لقد شوقتني يا هرمس إلى ذلك المستقبل السعيد ، كم يكون ممتعا لو استطعت أنا وحبيبي بعل أن نقوم برحلة إلى ذلك الكوكب الجميل الذي سماني أبي باسمه !

هرمس : ما نحن اليوم يا إيلات إلا لبنات ذلك المستقبل السعيد ، فإن لم يكن في إمكاننا أن نشهده ، ففي إمكاننا أن نعمل على تقريب بلوغ الإنسان إليه ، وذلك بأن نصلح من ذات أنفسنا فنغلب فيها الخير على الشر ، والحكمة على الشهوة ، والبر على الإثم ، وعبادة الله الحق على عبادة الآلهة الباطلة .

مناة : ها هو الآن يا مولاتي قد كشف من حقيقة مقصده ، لقد أراد أن يستدرجنا حتى ننبذ آلهتنا التي تحبنا وتحب لبلادنا العظمة والمجد ، ونعبد إلهه الذي يكرهنا ويكره لبابل أن تسود العالمين .

هرمس : يا هذه ماذا يحوجني إلى الاستدراج ؟ إني كنت وما أزال أدعو الناس بملء صوتي إلى توحيد الله ، لتقريب ذلك اليوم الذي تتحد فيه الإنسانية وتتعاون على ما فيه خيرها وصلاحها ،

وإلى نبذ الآلهة المتعددة من الأصنام والأوثان التى لا تملك لهم نفعا ولا ضرا ، وإنما تفرقهم شيعا تتناحر وتتنابذ فى سبيل الشيطان ، وتتبارى فى وسائل الدمار والخراب .

مناة : فهل استجاب لدعوتك أحد ؟ حتى الهمج والمتوحشون فى البلاد المتأخرة لم يشاءوا أن يتركوا آلهتهم لإلٰهك . فما ظنك ببابل ذات الحضارة العريقة والمجد الباذخ ؟ إن دعوتك ميئوس من نجاحها ، فانفض يدك منها لتريح وتستريح .

هرمس : كلا لن أيأس من روح الله أبدا ، ولن أيأس من مستقبل الإنسان أبدا .

مناة : (**ساخرة**) مستقبل الإنسان ! نحن نواجهك بالحاضر الراهن ، وانت تحيلنا على المستقبل .

هرمس : المستقبل هو الغاية وما الحاضر إلا الطريق .

مناة : إنما تهرب من الحاضر العتيد إلى المستقبل البعيد ، لأن أحدا منا لن يعيش بعد آلاف السنين ليكتشف ما فى دعواك من صدق أو كذب .

هرمس : (**تعروه حالة غريبة كأنما تقمصته قوة غير منظورة ، ويحدق إلى الأفق كأنما ينظر إلى الغيب من كوة أمامه وقد ذهل عمن حوله**) الإنسان سيعيش وكلماتى ستعيش ! سوف تبيد بابل وتصبح أحاديث ، ولكن الإنسان سيعيش وكلماتى ستعيش وسوف تقوم دول كثيرة أعظم من بابل وأقوى منها ثم تبيد بدورها ، ولكن الإنسان سيعيش وكلماتى ستعيش ! وبعد

دهور ودهور يوشك أن ينضب معين الحياة فى هذه الأرض ، فيهجرها سكانها إلى كوكب آخر ، ولكن الإنسان سيعيش وكلماتى ستعيش !

(تروع الحاضرين هذه الكلمات من هرمس فيبقون هنيهة واجمين كأنما حبس ألسنتهم حابس ، وفى خلالها كان هاروت وماروت يرنو أحدهما إلى الآخر فى ذهول ، وكذلك تفعل إيلات مع مناة بينما يرنو بعل فى خشوع وإعجاب إلى هرمس) .

مناة : **(كأنما تنتبه من غشيتها فتهز الملكة هزا عنيفا)**
مولاتى ، مولاتى ، لقد سحرنا هذا الرجل .. إنه ساحر .

إيلات : **(كأنما تسترد وعيها)** كفى يا مناة ، دعى هرمس وشأنه .

(ينظر الجميع إلى هرمس فإذا هو يتصبب عرقا وهو يجففه بطرف كمه) .

مناة : سمعا يا مولاتى وطاعة **(تشير إلى الأوراق الملقاة بين يدى الملكة)** هل لك أن توقعى الآن على براءة القاضيين الجديدين ، فقد حبسناهما طويلا ؟

(يلتفت هرمس إلى القاضيين لأول مرة فيعروه الدهش) .

إيلات : **(تتصفح الأوراق)** هاروت وماروت .. ايـن اسم الثالث ؟

مناة : الثالث اختفى يا مولاتى .

إيلات : اختفى ! كيف اختفى ؟

مناة : لا أحد يدرى يا مولاتى ، بحثوا عنه فى كل ركن من أركان القصر فلم يقفوا له على أثر .

إيلات : لعله كره أن يتولى القضاء ، فانسل خارجا وانصرف .

مناة : العجيب يا مولاتى أن الحرس والجنود على الأبواب ، ولم يره منهم أحد .

إيلات : (**ممازحة**) طار من يدك يا مناة ، لكن لا بأس ، فى هذين الباقيين الكفاية . (**توقع البراءة وتسلمها للقهرمانة ، ثم تلتفت إلى القاضيين وتنظر إليهما مليا**) أرجو لكما التوفيق فى منصبكما الجديد .

القاضيان : شكرا يا مولاتنا الملكة .

(يتطلع إليهما هرمس طوال الوقت وهما يغضان بصرهما عنه فى خجل ، كأنما يخشيان أن يكون اطلع على سرهما وقرأ ما يجول فى نفوسهما من خواطر الشهوة والإثم) .

إيلات : ما خطبك يا هرمس ؟ ألم يعجبك القاضيان الجديدان ؟

هرمس : بلى يا إيلات . ما رأيت فى حياتى مثل وجهيهما إشراقا ووضاءة .

إيلات : لا عجب يا هرمس فقد انتخبتهما مناة من بين مائة وخمسين رجلا تقدموا لهذا المنصب .

مناة : (**تنتحي بالقاضيين جانبا وتعطى كل واحد منهما بدرة من المال**) ستنزلان فى الخان الكبير ريثما نهيئ لكما منزلا خاصا يليق بالمقام .

القاضيان : شكرا يا سيدتى .

(**يدخل الموظف**)

الموظف : (**يحنى رأسه للملكة**) مولاتى الملكة ، تقول لك الأميرة العزى إن موعد الحفلة قد أزف وإنها فى انتظارك .

إيلات : قل لها إنى قادمة ، (**يخرج الموظف**) هلموا معنا أيها السادة لندخل السرور على قلب أختى العزى .

هرمس : (**فى عتاب**) تعلمين أننى لا أشهد حفلات السكر واللهو .

إيلات : معذرة يا هرمس ، إنما سقت الحديث إلى هذين القاضيين الجديدين فهما ضيفاى اليوم .

هرمس : هذان رجلان صالحان لا ينبغى أن يدعوا إلى مباذلكم .

مناة : عجبا لك ، ما شأنك بهما إن كانا يرغبان فى تلبية الدعوة ؟

هرمس : أنا على يقين أنهما لا يرغبان فى ذلك .

مناة : ليسا بأخرسين حتى تتولى عنهما الحديث .

ماروت : إنا نؤثر الانصراف .

هاروت : إذا أذنت لنا مولاتنا الملكة .

إيلات : كما تحبان .

هرمس : ألم أقل لكم ؟

(تخرج الملكة من اليمين ويتبعها بعل والقهرمانة)

هرمس : هلم بنا يا أخوى . **(يتوجه بهما للانصراف ولكنه يتوقف ويتأمل فيهما منبهرا)** معذرة أيها السيدان ، إنى أرى فى وجهيكما قبسا من نور الله ، فخبرانى من تكونان ؟

الملكان : **(يحمر وجهاهما خجلا ولا يجيبان)** ...؟

هرمس : ما إخالكما من أهل الأرض ، وما أحسبكما إلا ملكين كريمين .

ماروت : أصبت أيها الرجل الصالح ، ما ينبغى أن نخفى عنك الحقيقة .

(يهجم عليهما فيقبلهما فى إعظام وخشوع)

هاروت : لكن بربك إلا ما كتمت علينا .

هرمس : حبا وكرامة ، لن أبوح بسركما إلى أحد ، لكن ماذا أهبطكما إلى الأرض ؟

هاروت : إن إخواننا الملائكة لما رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بنى آدم السيئة ، أنكروها وقالوا : ربنا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء فى الأرض واصطفيتهم فهم يعصونك .

ماروت : فقال عز وجل : لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا .

هرمس : **(كأنما شاقه الحديث)** هيه .. ثم ماذا ؟

هاروت : قالوا : سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نعصيك .

ماروت : فقال تعالى : اختاروا ثلاثة من خياركم أهبطهم إلى الأرض .

هاروت : فاختارونا نحن .

هرمس : وأين ذهب ثالثكم ؟

ماروت : كان معنا ، ولكن أدركه الخوف ، فعاد إلى السماء ليسأل الله أن يعفيه .

هرمس : لقد أحسن صنعا ، فهلا فعلتما أنتما مثله ؟

ماروت : قد اختارنا إخواننا ، وما يكون لنا أن نخلف ظنهم فينا .

هاروت : وإنا لنخجل من ربنا أن نعترف له عز وجل بأن إيماننا به أضعف من أن يحتمل مثل هذه التجربة .

هرمس : ويحكما ! ما كان أغناكما عن التعرض لهذه التجربة .

ماروت : لقد شاء الله ذلك ولا راد لمشيئته عز وجل .

هاروت : ولعل الله قد أراد بهؤلاء الناس خيرا إذ اختارونا للقضاء ، فقد علمنا أن قضاتهم يقبلون الرشوة ويمالئون أهل القوة والجاه .

هرمس : هذا صحيح .

ماروت : أفتخشى علينا أن نفعل مثلهم ؟

هرمس : معاذ الله ولكنى أشفق عليكما من التجربة .

هاروت : لعل هذه التجربة ترفعنا عند ربنا مقاما عليا .

هرمس : أما وقد اخترتما هذا السبيل ، فإنى أنصحكما أن تتجنبا مواقع الزلل ما تستطيعان ، فإن الشيطان يجرى منا مجرى الدم ، ورب صغيرة لا نأبه لها جرتنا إلى كبيرة نخر لها

الجبال .

ماروت : شكرا لك على جميل نصحك ، وإن وجودك معنا ليزيدنا طمأنينة .

هاروت : أجل ، لقد زادت ثقتنا بأنفسنا حين لقيناك . هأنتذا مقيم بينهم وتتقى الله وتدعوهم إلى الخير والفلاح .

هرمس : أستغفر الله ، ما يدرينى ألا يكون الله ساخطا علىّ لأنى لم أستطع أن أهديهم إلى الحق .

(تسمع أصوات الموسيقى والغناء من داخل القصر)

هرمس : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ما كان ينبغى أن نلبث فى القصر حتى الآن ، هيا بنا نخرج .

الملكان : ما هذا يا سيدى ؟

هرمس : لعبت برءوسهم الخمر فبدأوا يلهون ويعربدون .

الملكان : يلهون ويعربدون ؟

هرمس : ويأتون فى ناديهم المنكر ، هكذا أهل بابل يعقدون مجالس الشراب لينسوا وقارهم فيستحلوا كل شىء .

الملكان : **(يتمتمان دون أن ينظرا فى وجه هرمس)** لا حول ولا قوة إلا بالله .

(يخرج الثلاثة مسرعين) .

(تظهر العزى من جهة اليمين ومعها بعل وهما يترنحان من السكر) .

العزى : أراك اليوم لطيفا ظريفا يا بعل على غير عادتك .

بعل : أليس هذا من قواعد السلوك عندكم يا أهل بابل ؟

العزى : إذن فما يمنعك من تقبيلي ؟ (**تدلى فمها إليه**)

بعل : (**متضاحكا**) لا شيء يمنعني . (**يقبلها**) .

العزى : (**تطوقه بذراعيها متهالكة عليه إلى أن يحل ذراعيها عنه فى لطف**) ما خطبك ؟ رجعت إلى هجيتك ؟

بعل : لا ينبغى أن يرانا أحد فى هذا الوضع .

العزى : ما المانع ؟ نحن الآن فى مجلس شراب .

بعل : إن لى رجاء إليك يا عزى فهل تقبلين ؟

العزى : كل رجاء لك مقبول ، ماذا تريد ؟

بعل : كفى عن منافسة أختك ولا تدفعيها إلى ما أكره .

العزى : أوه ، ألا تستطيع أبدا أن تنسى إيلات ولو إلى حين ؟

بعل : أتوسل إليك يا عزى ، افعلى ذلك من أجلى ، أسدى إلى هذا المعروف .

العزى : أتخاف على عرشها منى ؟

بعل : عرشها ؟ يا ليتها تتخلى لك عنه . إنك تعرفين يا عزى ما أرغب فيه .

العزى : (**تنظر مليا إليه**) هلم اتبعنى .

بعل : إلى أين ؟

العزى : إلى حيث نبحث هذا الأمر فى مكان أمين .

(تتوجه ناحية اليمين ويتردد هو قليلا ثم يتبعها ويخرجان) .

(تدخل إيلات ومعها يعوق وفى يد كل منهما كأس) .

إيلات : لا تتعب نفسك يا ابن عمى ، فليس فى قلبى مكان لغير حبيبى بعل .

يعوق : نحن الآن فى مجلس شراب .

إيلات : ولو !

يعوق : ليس من العدل أن تباسط العزى زوجك ولا تباسطينى أنت .

إيلات : على المضيف أن يجامل ضيفه لا العكس !

يعوق : لعلك لم تشربى كفاية ، اشربى هذا القدح .

إيلات : لقد شربت حتى سكرت ، وإنى الساعة لسكرى .

(تظهر القهرمانة فحين تراهما ترتد معتذرة) .

إيلات : (**تناديها**) تعالى يا مناة ، ليس بيننا من سر .

مناة : بل تعالى .. إنى أريدك .

(تتقدم القهرمانة نحوها فتتبادل مع يعوق نظرة ذات معنى) .

يعوق : سأتركك يا بنت عمى إلى حين .

إيلات : شكرا . (**ينسحب يعوق**) .

مناة : ما حاجتك يا مولاتى ؟

إيلات : لا شيء يا مناة غير أن أصرف عنى هذا المغازل الثقيل .

مناة : لا حق لك أن تحرمى نفسك بهجة الحياة ، إن لك حياة واحدة فاشربى كأس لذتها حتى الثمالة .

إيلات : هذا عين ما أصنعه يا مناة .

مناة : الحياة أوسع من رجل واحد .

إيلات : لكن الحب يا مناة أوسع من الحياة !

مناة : لا ينبغى إذن أن تضيقيه على نفسك ، هذا ابن عمك يعرض عليك حبه فلماذا لا تستمتعين به ؟

إيلات : كيف أستمتع به وأنا لا أحبه ؟

مناة : أما إنه لجميل وسيم .

إيلات : زوجى أجمل منه وأوسم .

مناة : زوجك له جماله البدوى ، وهذا له رقته الحضرية ، ولكل منهما مذاقه . (**تسبل جفنيها فى خبث**) صدقينى يا مولاتى إنى أحدثك عن علم !

إيلات : (**تضحك**) يا لك من شيطانة !

مناة : لا تلومينى يا مولاتى فليس لى غير حياة واحدة .

إيلات : (**تنظر إلى القهرْمانة**) خبرينى يا مناة وأصدقينى : هل لك ببعل زوجى معرفة ؟

مناة : يا له من سؤال محرج !

إيلات : لا تخافى فلن أؤاخذك على شيء .

مناة : أقول لك الحق .. إنه من القليل الذين سلموا منى .

إيلات : (**يعلو ضحكها**) لعلك لم تتعرضى له ؟

مناة : بلى .. لقد تعرضت له ذات ليلة وهو سكران فإذا هو يفيق من سكره ! (**تقهقهان ضاحكتين**) .

إيلات : (**فى زهو وانتصار**) أفألام يا مناة إن وقفت حبى على هذا الزوج الكريم ؟ أين أجد مثله ؟

مناة : يا مولاتى ، إن أمضى السكاكين ما يكثر شحذه .

إيلات : دعينى من هذا ، قد عرفت اليوم سبب بغضك لبعل وتحاملك عليه ، كما فعلت مع هرمس من قبل .

مناة : كلا وحق سواع ، ليس من مذهبى أن آسف على شىء يغنينى عنه الكثير ، ولكنى إن كرهت بعلا فلأنه يذكرنى دائما بالخطر الذى يتهدد بابل من غزو قومه الرعاة الهمج .

إيلات : لكنه هو آية السلام بيننا وبينهم .

مناة : (**تخرج من بين ثيابها رسالة**) هذه رسالة له من أبيه ، سأقرأها عليك لتعرفى أى سلام هذا الذى تذكرين .

إيلات : لا حق لك يا مناة أن تسرقى رسائله .

مناة : استمعى أولا . (**تتلو الرسالة**) لا ينبغى أن تستذلك امرأتك البابلية ، فما زوجناها لك إلا لتكون سيدا عليها لا تكون سيدة عليك ، كيف تقبل يا ولدى أن تخرج امرأتك عارية للناس ؟ إذا جاءك كتابى هذا فأخضعها لإرادتك أو

فطلقها وعد إلى بلدك لنزوجك خيرا منها ألف مرة ، وإن لم تفعل عددتك أسيرا فى أيدى البابليين وعلينا أن نحررك إذا لم تستطع أن تحرر نفسك ، والسلام . أرأيت كيف يهددنا بالحرب ؟

إيلات : **(تشرب القدح الذى فى يدها جرعة واحدة فى عصبية)** أريني . **(تأخذ منها الرسالة فتنظر فيها ثم تطويها وتخفيها بين ثيابها فى صمت)**

مناة : إياك أن تسلميها لزوجك ، إنها حجة فى أيدينا .

إيلات : كلا لن أسلمها له ، وإلا اشتد غضبه إذا علم أننا نسرق رسائله .

مناة : لا يعنيك يا مولاتى إلا غضبه !

إيلات : ماذا أصنع يا مناة ؟ إنى أحبه ، ليتنى أجد ساحرا يخلصنى من حبه !

مناة : وهل تركت مجالا لأى ساحر أن يقترب منك ؟

إيلات : **(تترنح فى سكر)** أين هو الساحر يا مناة ؟ أين هو الساحر ؟

(تراها القهرمانة قد غلبها السكر فتجلسها على المقعد وتنسل خارجة)

إيلات : **(تتمتم)** أين هو الساحر ؟ أين الساحر ؟

(تظهر القهرمانة فى طرف المسرح من جهة اليمين ومعها

يعوق)

مناة : (**بصوت خافض**) أدركها الآن ، إنها استوت للقطاف .. ضمها إلى صدرك وقبلها قبلة حارة . (**تنسحب**)

يعوق : (**يتقدم إلى إيلات فينهضها**) قومى يا حبيبتى .

إيلات : (**فى غير وعى**) أأنت الساحر ؟

يعوق : هلمى معى ..

إيلات : إلى أين ؟

يعوق : إلى حيث نكون وحدنا أنا وأنت .

إيلات : (**تعود إلى وعيها**) يعوق ! إليك عنى !
(**يضمها ويحاول تقبيلها فتحاول التملص منه**) دعنى . دعنى .

يعوق : (**يتشبث بها فى قوة**) لن أدعك حتى تمنحينى قبلة .

إيلات : (**تصيح بأعلى صوتها**) بعل ! أدركنى يا بعل ! أين أنت يا بعل ؟
(**يرسلها يعوق من بين ذراعيه**)
(**يدخل بعل مسرعا فترتمى إيلات بين ذراعيه وهى تتمتم**)
لا تتركنى يا حبيبى ، لا تتركنى وحدى يا ساحرى الجميل !

(ستار)

الفصل الثانى

بهو متوسط فى منزل هاروت وماروت يطل من الخلف على حديقة غناء . على اليمين باب يؤدى إلى الخارج ، وعلى اليسار بابان يؤدى أحدهما إلى مخدع هاروت ، والآخر إلى مخدع ماروت .

(الوقت أول الليل بعد غروب الشمس)

يرفع الستار فنرى هاروت يخرج من باب مخدعه وهو يمسح النوم عن جفنيه كأنما استيقظ توا من نوم عميق .

هاروت : (**يتثاءب ويتمطى**) ما ألذ هذا النوم ، نعمة عظيمة كنا محرومين منها فى السماء .. ينسى النائم كل شىء .. ينسى همومه ومتاعبه بل ينسى الوجود كله ، بل ينسى حتى خالق الوجود . (**تدركه روعة**) أستغفر الله العظيم ، كيف نعد نسيانه عز وجل نعمة ؟ لكن ما ذنبى ؟ هو الذى جعل النوم نسيانا لكل شىء وجعل اليقظة بعده حياة جديدة ، إنه فى الحقيقة لنعمة ، أليس يجعلنا ننسى الله لنستمتع بلذة ذكره من جديد ؟ (**يدنو من باب مخدع هاروت فيقرعه**) ماروت ! ماروت ! استيقظ يا صاح ، إلى متى أنت

نائم ؟ الشمس قد غربت ، ماروت ! ماروت !

ماروت : (**يظهر من باب مخدعه وهو يفرك عينيه غاضبا**) ويلك لم أيقظتني ؟ لقد أسأت إلىّ إساءة لا تغتفر .

هاروت : (**ممازحا**) لو كنت أنانيا مثلك لتركتك نائما حتى أستقبل الحسناء وحدى .

ماروت : فقد أطرتها منى الساعة .

هاروت : (**متعجبا**) أطرتها منك ؟

ماروت : نعم .. كانت عندى وكنت أوشك أن أعانقها وأقبلها .

هاروت : ها .. هذا الذى يدعونه الحلم ، وهو خيال لا حقيقة .

ماروت : ماذا يعنينى أن يكون خيالا أو حقيقة ؟

هاروت : لا تغضب يا أخى .. عد إلى نومك ولن أوقظك حتى مطلع الفجر .

ماروت : لتستقبلها أنت وحدك وأنا نائم أغط ؟

هاروت : أليس ذلك ما كنت تريد ؟

ماروت : كلا كنت أريد أن تتركنى قليلا .. لحظة صغيرة ريثما أعانق وأقبل .

هاروت : ما كنت أدرى أنها كانت معك فى الحلم .

ماروت : بل كنت معنا تدرى كل شىء ، لقد حاولت ساعة قدومها أن تقودها إلى مخدعك ! ولكنها اعرضت عنك ودخلت معى إلى مخدعى ، ولذلك انتقمت منى .

هاروت : ماذا رأيت يا ماروت ؟ أرأيت كل هذا فى حلمك ؟

ماروت : لا تتجاهل ما فعلت .

هاروت : وجلال رب العزة ما كان منى شيء مما تقول ، ولو سمعك أحد من بنى آدم تقول هذا لضحك منك وسخر .

ماروت : أحقا يا هاروت ما كنت معا ؟

هاروت : أنا كنت نائما فى مخدعى فكيف أكون معك ؟

ماروت : عجيب !

هاروت : و لم لا تعجب من النوم نفسه ؟ أليس عجيبا أن ينسلخ أحدنا أثناءه من هذا الوجود ثم يعود إليه حين يستيقظ ؟

ماروت : صدقت .. إن النوم نفسه لعجيب ، وإن الحلم لأعجب ، سبحان الله لقد كانت الساعة معى بلحمها ودمها .

هاروت : ذاك طيفها يا ماروت ، ولا ينبغى أن تأسف عليه ، وهى قادمة إلينا بلحمها ودمها حقا بعد قليل .

ماروت : أواثق أنت أنها ستجىء ؟

هاروت : إن كانت حريصة على أن نحكم لها على زوجها فإنها ستجىء لا محالة .

ماروت : وحدها ؟

هاروت : هذا ما اتفقنا معها عليه .

ماروت : اسمع يا هاروت ، لا ينبغى أن نختلف أمامها فيضيع منا كل شيء ، أنا الأول .

ماروت : جزاء ما حرمتنى فى الحلم .

هاروت : تريد أن تستأثر بها فى الحلم وفى الحقيقة ، يا لك من أنانى .

ماروت : كلا أنا لم أنل شيئا فى الحلم ، وأنت كنت السبب .

هاروت : (**بعد صمت يسير**) كما تشاء يا ماروت .

ماروت : شكرا لك يا أخى .. لاعدمتك (**يقبل رأسه**) آه أحقا أنها ستشرق علينا وحدها بين هذه الجدران ؟ أحقا أنها ستجيبنا إلى ما نريد ؟

هاروت : ما أحسبها تخلف وعدها إلا لعذر قاهر .

ماروت : (**مشفقا**) عذر . أى عذر ؟

هاروت : إذا حبسها مرض أو .....

ماروت : لا سمح الله .. ألا يجد عز وجل امرأة أخرى يصيبها بالمرض اليوم غير صاحبتنا تامارا ؟

هاروت : صه . هذا اعتراض على رب العزة وسوء أدب .

ماروت : أستغفر الله العظيم . (**تعتريه الخشية فيرتجف**) لا أدرى والله كيف ندت من لسانى هذه القولة ؟

هاروت : راقب لسانك جيدا يا ماروت ، وزن ما تقول قبل أن تلفظه .

ماروت : (**فى حالة من الخشية**) يا ويلنا قد قطعنا شوطا بعيدا فى الغواية والعصيان . أتدرى يا هاروت على أى إثم نحن

مقدمان الآن ؟ على الزنا !

هاروت : ما خطبك يا أخى ؟ أتريد أن تتراجع ؟

ماروت : لا أدرى يا هاروت ماذا أصنع ؟ يا ليتنى فعلت مثل ما فعل عزريائيل .

هاروت : أخونا عزريائيل كان فى الساحل بعد . أما نحن فقد بلغنا اللجة .

ماروت : أليس فى وسعنا أن نعود إلى حيث كنا فى الساحل ؟

هاروت : أيسر لنا الآن أن نجوز إلى الساحل الذى أمامنا من أن نعود إلى الساحل الذى خلفناه وراء ظهورنا .

ماروت : ألا تخشى الله يا هاروت ؟

هاروت : ماذا تنفعنا خشيته الآن بعد ما توسطنا لجة العصيان ؟

ماروت : إننا لم نرتكب بعد شيئا .

هاروت : ألسنا قد اشتهينا الملكة وظللنا زمنا نحلم بوصلها ليل نهار ؟

ماروت : بلى ، ولكنا لم نرتكب إثما .

هاروت : إنما كان ذلك عن عجز منا لا عن ورع .

ماروت : (**مضطربا**) لكن .....

هاروت : لندع الملكة جانبا ولنتحدث عن صاحبتنا تامارا . ألم نفتتن بجمالها من أول ما وقع نظرنا عليها فى دار القضاء ؟

ماروت : بلى ، لأنها تشبه الملكة شبها كبيرا .

هاروت : ألم يخطر لنا ساعتئذ أن نراودها عن نفسها ونحكم لها على

زوجها بالحق أو بالباطل ؟

ماروت : بلى .

هاروت : ألم نساومها بعد ذلك بالفعل ودعوناها إلى هذه الزيارة السرية لتدفع لنا ثمن الحكم ؟ فماذا بقى لنا من إثم لم نرتكبه ؟

ماروت : العمل السيئ ذاته .

هاروت : إن شئت يا صاحبى فامتنع عنه .

ماروت : وأنت ؟

هاروت : يعز على يا أخى أن أحتمل إثم العصيان دون أن أذوق لذته .

ماروت : لكن لذته هذه هى الخطيئة الكبرى .

هاروت : بل هى معذرتنا إلى ربنا ، فهى القوة القاهرة التى ساقتنا سوقا إلى معصيته ، وبغيرها لا يبقى لنا أى عذر .

ماروت : وى ! من أين ألهمت هذا المنطق العجيب الذى لا عهد لنا بمثله ؟

هاروت : من ممارسة هذه الحياة الإنسانية الحافلة بالعجائب . ألا تشعر يا ماروت أننا ازددنا إيمانا بقدرة الله وحكمته وإبداعه فى الخلق ؟ ألم ينكشف لنا اليوم من أسرار الجمال الذى بثه فى الكون ما لم نكن ندرك بعضه حين كنا لا نقوم بغير العبادة والتسبيح ؟

ماروت : بلى .

هاروت : لقد شهدنا الحور العين فى الجنة ، فهل كنا نهتز لهن اهتزازنا لهذه الملكة أو لشبيهتها تامارا ؟

ماروت : لا والله ، هاتان أجمل من أولئك الحور العين .

هاروت : كلا يا ماروت . إنما خيل إلينا ذلك لأننا لم نر الحور العين بعد ما ركب فينا ما ركب فى بنى آدم ، فلم نستطع أن ندرك ما ينطوين عليه من جمال ليس هذا الجمال الأرضى إلا قبسا منه .

ماروت : أتريد أن تقول إننا اليوم أقرب إلى الله عز وجل مما كنا من قبل ؟

هاروت : من غير شك .

ماروت : فعلام تخشى غضبه وتشفق من نقمته ؟

هاروت : بقية وهم علق بنا من حياتنا السابقة .

ماروت : يعجبنى منطقك هذا يا هاروت وإن كان يملأ قلبى رهبة . فخبرنى بالله عليك ألم تجد عندك مثل هذه الرهبة ؟

هاروت : قد كان عندى منها مثل ما عندك ، ثم رق حتى زال أو كاد .

ماروت : لكن كيف زال من عندك وبقى عندى ؟

هاروت : لا تنس يا ماروت أننى أوسع منك تجربة .

ماروت : ماذا تعنى ؟

هاروت : (ضاحكا) القهرمانة يا ماروت .

ماروت : ما بالها ؟

هاروت : لو استجبت لندائها كما استجبت لكنت الآن مثلى .

ماروت : كلا لا أرب لى فى تلك الكهلة المستهلكة .

هاروت : (**كالحالم**) كهلة حقا ولكنها ممتعة . جرب يا أخى لتعرف .

ماروت : كلا . كلا ...

هاروت : هى صاحبة الفضل علينا فمن حقها أن ترضيها . هذه عادتها مع من تختارهم للمناصب الرفيعة .

ماروت : كلا لن أجعلها تستعبدنى بهذه التولية .

هاروت : إنما هى ليلة واحدة .

ماروت : ولو . إن كان لا بد من معصية الله فلتكن فى أمر يستحق .

هاروت : يجب أن تعلم يا أخى أن لكل شىء ثمنه ، فمعصية الله فى امرأة هى التى تراودك أهون من معصيته فى امرأة أنت التى تراودها وهى تستعصم .

ماروت : و لم لا تقول إن معصيته فيما لا تشتهيه نفسك أشد وأعظم من معصيته فيما لا قبل لك بدفعه من عمل الشهوة ؟

هاروت : (**يهتف فى استحسان**) مرحى ! مرحى ! لقد تقدمت فى صناعة الحجة !

ماروت : أحقا أعجبك هذا القول ؟

هاروت : جدا .

ماروت : اقتنعت الآن بحجتى ؟

هاروت : لا .

ماروت : كيف ؟

هاروت : ما زلت تدور بنا فى فلك الخوف دون فلك الرجاء .

ماروت : أفصح .

هاروت : مازال غضب الله يسبق رحمته .

ماروت : إن الذى لا يخشى غضبه لا يمكن أن يطمع فى رحمته .

هاروت : هذا ما كنا نعتقد قبل أن نحيا حياة الإنسان .

ماروت : لا أفهم ما تعنى .

هاروت : كنا نجهل حقيقة الإنسان فاعتقدنا هذا .

ماروت : زدنى بيانا .

هاروت : أنكرنا على بنى آدم ما يصعد إلى السماء من سيئ أعمالهم . حتى خاطبنا رب العزة فى ذلك ، ظنا منا أننا أفضل منهم . ولو عرفنا حكمته الكبرى فى الإنسان لنكسنا رءوسنا خجلا ، ولكن دعاؤنا الذى ندعو الله به فى السماوات : تباركت يا خالق الإنسان . بارك اللهم فى الإنسان .

ماروت : ويحك هذا بعض ما سمعناه من هرمس يوم القصر .

هاروت : أجل لقد قال هرمس الحق .

ماروت : لكن ما صلة هذا بما كنا فيه من غضب الله ورحمته ؟

هاروت : لو لم تكن رحمة الله قد سبقت غضبه ، لما كرم الإنسان وجعله خليفة وهو يرتكب من المعاصى والموبقات ما تهتز له جنبات العرش .

(يقرع الباب الخارجى)

الاثنان : **(بصوت خافض)** تامارا ! تامارا !

هاروت : لكن ميعادها عند طلوع القمر ، ولم يطلع القمر بعد .

ماروت : عجلت بالمجىء وذلك خير . افتح لها أنت ريثما أصلح أنا هندامى .

(يتوجه نحو مخدعه ولكنه يتوقف إذ سمع صوت هرمس)

الصوت : **(مناديا)** يا هاروت ! يا ماروت !

الاثنان : هرمس .. هرمس ..

ماروت : ويل له ماذا جاء به الساعة ؟

الصوت : هاروت ! ماروت !

(يرتبك الملكان)

هاروت : يجب أن نفتح له .

ماروت : كلا لا تفعل .. دعه ينادى حتى يستيقن أننا لسنا فى البيت فينصرف .

هاروت : ربما تحضر تامارا وهو واقف بعد على الباب .

ماروت : ما أحسبه ينتظر طويلا .

الصوت : هاروت ! ماروت !

هاروت : وربما ينصرف ثم يعود بعد قليل . خير لنا أن نستقبله ثم نصرفه فى الحال بعذر من الأعذار .

ماروت : صدقت .

هاروت : (**بصوت عال**) من يطرق الباب ؟ (**يخرج من جهة اليمين**)

ماروت : تبا لهذا الزائر الثقيل الذى يفرض نفسه علينا فرضا .

(**يعود هاروت ومعه هرمس**) .

ماروت : أهلا هرمس . تفضل يا سيدى تفضل .

هرمس : (**يدنو من ماروت ليقبله**) دعنى أقتبس من نورك يا ماروت كدأبى .

ماروت : (**يتلقى قبلة هرمس على جبينه**) أستغفر الله يا هرمس .

هاروت : معذرة إذ أبطأنا عليك فى فتح الباب .

هرمس : لا جناح عليكما .. لعلكما كنتما تصليان ..

ماروت : أجل أجل .

هرمس : حزرت ذلك ، فرأيت أن أنتظر ، ولم أعجل بالانصراف .

هاروت : (**بلهجة المنكر لزيارته**) هل من جديد يا سيدى فى المدينة ؟

هرمس : لا جديد إلا أن الحكم الذى أصدرتماه فى قضية التبرج قد

صار له أثر طيب فى البلد .

ماروت : سمعنا أنه أسخط كثيرا من نساء المدينة .

هرمس : لكنه أرضى كثيرا من رجالها الصالحين ، إذ صار حجة لهم على نسائهم .

هاروت : إذن فلا يخلو بقاؤنا فى الأرض من خير ؟

هرمس : لا شك فى ذلك .

هاروت : وكنت تنصحنا بالرجوع إلى السماء .

هرمس : ما زلت أنصحكما بذلك ، فإنه ما جرب الله أحدا إلا غلبه .

هاروت : إن ننجح يا هرمس يرفعنا الله مقاما عليا ، وإلا فحسبنا رحمته التى وسعت هؤلاء العصاة الفاسقين من بنى آدم .

هرمس : أنتما لستما كبنى آدم ، فإنهم ما رأوا وجه الله مثلكما ، وإنما ذكروا به من وراء وراء .

ماروت : هل يجعلهم ذلك أحق منا برحمته ؟

هرمس : إن رحمة الله لا تنفصل عن حكمته فهما متلازمتان .

ماروت : كيف ؟

هرمس : لقد شاءت حكمته حين تعلقت إرادته بخلق الإنسان أن يجعله مثلا فريدا فى خلقه ، فخلقه من طين ، وجعله على صورته ، وأعطاه العقل والإرادة ، فجمع له فى وقت واحد بين طرفى النقص والكمال ، ليرقى به على مسر

الدهور من أسفل سافلين إلى أعلى عليين ، فهو يسفل ما يسفل حتى يكون شرا من الشياطين ، ويعلو ما يعلو حتى يكون خيرا من الملائكة ، فلا غرو أن تشمله رحمة الله فيما قضت به حكمته .

ماروت : ونحن ؟

هرمس : أنتما من الملائكة ، وقد خلقهم من نوره ، فليس لهم أن ينحدروا عن ذلك المستوى الذى أنزلهم فيه وألزمهم إياه .

هاروت : وماذا يمنعنا وقد أعطينا الإرادة التى أعطيها الإنسان أن نعلو بها حتى نفوق إخواننا الملائكة ؟

هرمس : لو شاء ربكما ذلك لجعلكما إنسانين من الأصل .

هاروت : أتريد أن تقول يا هرمس إن هؤلاء الفاسقين فى بابل أفضل من ملائكة السماء ؟

هرمس : حاش لله أن أقول ذلك ، ولكن الإنسان فى مجموعه وفى مستقبله وغايته أفضل من الملائكة ، لأنه يتطور وهم لا يتطورون .

ماروت : هذا السر الذى خصنا الله بمعرفته هل يمكن أن يدركه الإنسان فى المستقبل ؟

هرمس : من غير شك .

ماروت : السر الأعظم الذى ننتقل به من الأرض إلى السماء ، ومن

السماء إلى الأرض ، ونتصرف به فى الكون الواسع كما نريد ؟

هرمس : نعم نعم . ما هو إلا سر محدود من أسرار الله التى لا تنتهى ولا تحد ، وسوف يدركه الإنسان ذات يوم ، ويتجاوزه إلى ما ليس عندكم من أسراره عز وجل !

ماروت : ماذا تقول ؟ يتجاوزه ؟

هرمس : أجل . سيأتى على الإنسان يوم ينكشف له فيه هذا السر الذى عندكما حتى يصبح من معلوماته الواضحة الشائعة ، فيتطلع إلى ما وراءه من الأسرار ، وهكذا دواليك إلى ما شاء الله .

(**يصمتان قليلا مدهوشين**)

هاروت : (**كأنما ينتبه إلى مضى الوقت ويخشى أن يطول مكث هرمس**) كفى يا هاروت . لقد أرهقنا هرمس بالأسئلة .

هرمس : لا ضير يا أخى ، إنى ليسرنى أن أتذاكر معكما الحكمة .

هاروت : (**ينهض**) يجب أن أحضر لك شيئا من الشراب .

هرمس : اجلس . ما نحن فيه أفضل عندى من الشراب .

هاروت : كلا لا بد من تحيتك بشىء . (**يخرج من باب مخدعه**)

ماروت : (**مأخوذا بحديث هرمس**) ما أعظم هذا الذى حدثتنا به يا هرمس . فمن أين جئت به ؟ أمن علم اختصك الله به ؟

هرمس : بل استنبطته من آياته .

ماروت : كيف ؟

هرمس : ألم يخلق الله الإنسان على صورته ؟

ماروت : بلى .

هرمس : ألم يجعله خليفة له ؟

ماروت : بلى .

هرمس : ألم يأمركم بالسجود لآدم ، فسجدتم له أجمعين إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ؟

ماروت : بلى .

هرمس : فإن لله حكمة فى كل ما قضى ، وما من شىء خلقه الله باطلا ، ولا من أمر قضاه عبثا ، وإن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون .

ماروت : إن كان هذا مستقبل الإنسان ، ففيم ترهق نفسك فى الدعوة والإصلاح ؟

هرمس : نحن حداة القافلة وهداة الطريق . نحدوها أن تكل ونهديها أن تضل .

ماروت : فما ترى أحدا استجاب لك أو اهتدى بك ..

هرمس : ربما لا يستجيب لى أحد من بنى عصرى ، ولكن صوتى لن يضيع سدى . إنه يسرى فى ضمائرهم من حيث لا يشعرون ، وسوف يسمعه الإنسان ولو بعد حين .

ماروت : وما تقول فى دعاة الباطل وهم كثيرون ، أتذهب أصواتهم

سدى ؟

هرمس : لا .. لا تذهب أصواتهم سدى . ولكن الحق والباطل يصطرعان أبدا فى ضمير الإنسان وفى عقله ، ومن اصطراعهما يتقدم الإنسان خطوة بعد خطوة ، ويرق درجة بعد درجة ، إذ تتسع تجاربه ، وتزداد معارفه ، ويتضاعف طموحه إلى كشف المجهول ، ويشتد حنينه إلى الكمال ، ليحقق من حيث يدرى ولا يدرى ما أراد الله به يوم خلقه على صورته وجعل له شرف خلافته .

(يعود هاروت بقدح من الشراب فيقدمه لهرمس) .

هاروت : تفضل يا سيدى .

هرمس : (**يتناول القدح فيشرب**) شكرا لكما . ائذنا لى الآن أنصرف . (**ينهض**)

ماروت : ألا تمكث معنا قليلا بعد ؟

هرمس : يخيل إلى أنى شغلتكما عن عمل هام .

هاروت : حقا لدينا قضايا كثيرة نريد أن ندرسها لنفصل فيها لجلسة الغد ، ولكن لا بأس أن نأتنس قليلا بك .

هرمس : كلا لا ينبغى أن أعطل مصالح الناس . سأعود لزيارتكما فى وقت آخر .

(يخرج من الباب الأيمن ويخرجان معه يشيعانه ثم يعودان)

اروت : الحمد لله إذ تخلصنا منه .

هاروت : لو لم آته بقدح الشراب لبقى عندنا إلى آخر الليل .

ماروت : أجل . أدرك من تعجيلك بالشراب أننا لا نرغب فى بقائه .

هاروت : ونسيت أنت موعد تامارا ، فأخذت توجه إليه سؤالا بعد سؤال ، وأنا أحاول أن أنبهك دون جدوى .

ماروت : أعجبنى حديثه فأنسانى كل شيء .

هاروت : انظر . ها هو ذا القمر قد طلع .

ماروت : وى ! يجب أن أصلح هندامى قبل أن تحضر .

(يقف أمام المرآة المعلقة فى الحائط فيمسح وجهه ويمشط شعره ويصلح قميصه ويتطيب) .

هاروت : **(واقفا خلفه ليصلح أيضا هندامه)** كلا لا تكثر من الطيب .

ماروت : لماذا ؟

هاروت : نريد أن نجد طيبها هى لا طيبك **(يتضاحكان)**

ماروت : **(يلتفت إلى هاروت)** ما رأيك ؟

هاروت : جميل . أنيق . **(ينتهى من إصلاح هندامه بسرعة)**

ماروت : إنك لم تسرح شعرك بعد .

هاروت : هكذا أفضل .

ماروت : **(ينظر إليه بارتياب)** أفضل ؟

هاروت : أحب إلى النساء . إنهن يكرهن النعومة ويعشقن الخشونة .

ماروت : كيف عرفت ؟

هاروت : من تجربتي السابقة .

ماروت : مع تلك القهرمانة الخشنة ؟

هاروت : ومع غيرها .

ماروت : غيرها ؟ أوقد عرفت أحدا غيرها ؟

هاروت : (**يتنهد فى اغتباط**) فى سن الحادية والعشرين .

ماروت : (**يبدو فى وجهه الغيرة**) من تكون ؟

هاروت : إحدى وصائف القصر .

ماروت : إحدى وصائف الملكة ؟

هاروت : نعم .

ماروت : كلا . لا أصدقك .

هاروت : ماذا يعنينى تصديقك أو تكذيبك ؟

ماروت : لكن كيف اتصلت بها ؟

هاروت : عن طريق القهرمانة .

ماروت : (**فى حنق**) ويلك لماذا لم تخبرنى بذلك من قبل ؟

هاروت : ألم أدعك مرارا إلى وصال القهرمانة فرفضت ؟

ماروت : لأنك لم تذكر لى حكاية الوصيفة .

هاروت : فقد ذكرتها لك الساعة .

ماروت : (**يتصنع الرثاء لصاحبه**) ما أشقاك يا هاروت . لقد سبقتنى شوطا بعيدا فى السقوط .

هاروت : وإنك لتحسدنى على ذلك ، وتتمنى فى قرارة نفسك لو

كنت أنت السابق .

ماروت : (**فى تجلد**) كان ينبغى أن نسير معا فى طريق واحد ولا نفترق فى خير أو شر .

هاروت : أنت الذى خالفت هذه السنة حين رغبت عن لقاء القهرمانة . أنت تريد أن تستغل تجاربى لتستخلص منها الغنم لنفسك دون الغرم .

ماروت : (**يحمر وجهه خجلا**) كفى تقريعا يا أخى .. لن أعود لمثلها أبدا . (**يشعث شعره قليلا**) انظر .. كيف ترى شعرى الآن ؟

هاروت : هكذا أفضل . والآن سآتيك بشىء تهندم به روحك .

ماروت : (**متعجبا**) أهندم به روحى ؟

هاروت : تجربة جديدة عليك . (**يغيب فى مخدعه هنيهة ثم يعود حاملا قنينة صغيرة فيفتحها ويجرع منها**) خذ لك جرعة .

ماروت : إن صدق ظنى فهذا خمر .

هاروت : نعم .

ماروت : من أين لك ؟ اشتريتها من السوق ؟

هاروت : تذكار من عند الوصيفة .

ماروت : كأنها سقتك الخمر عندها ؟

هاروت : حتى انتشيت . ما خطبك ؟ ألا تريد أن تهندم روحك ؟

ماروت : (**يأخذ القنينة فيجرع منها**) أف . مرة المذاق وتلسع

كالنار فى الحلق .

هاروت : لكنها تورث القلب شجاعة واللسان طلاقة .

ماروت : أنا والله فى حاجة إلى ذلك . (**يجرع ثانية محاولا أن يشرب القنينة كلها**)

هاروت : (**ينتزع القنينة منه**) حسبك .. لئلا يغلبك السكر فلا تصلح لشىء (**يجرع هو بقية القنينة ثم يرمى بها فى الحديقة**)

ماروت : (**يترنح**) وى ! كأن الأرض تدور بى !

هاروت : كان عليك أن تكتفى بجرعة واحدة .

ماروت : بل أردت أن تبهرها بشجاعتك وطلاقة لسانك لتستأثر بها من دونى .

هاروت : ما أسوأ ظنك . لو قصدت ذلك لأخفيت القنينة عنك وشربتها وحدى .

(**يسمع قرع على الباب الخارجى فيستبقان**)

ماروت : (**يتعلق بثياب هاروت**) دعنى أنا أفتح لها . قد فتحت أنت لهرمس من قبل .

هاروت : اذهب يا أخى فافتح لها .

(**يخرج ماروت منطلقا وهو يترنح . ثم يعود ومعه تامارا متلفعة بمعطف سابغ وعلى وجهها نقاب**)

هاروت : أهلا بك يا تامارا يا ريحانة بابل !

ماروت : (**يسحب النقاب عن وجهها بطريقة جافية**) دعينا نستمتع بوجهك !

تامارا : (**تظهر شيئا من الاستياء**) أيها القاضيان . إن كنتما ثملين تركتكما الآن لأزوركما فى وقت آخر .

هاروت : (**ينظر إلى ماروت نظرة عاتبة ثم يلتفت إلى تامارا**) معذرة يا سيدتى ، لسنا ثملين ولكنا نجهل قواعد السلوك فى بابل .

تامارا : أنا امرأة ذات كرامة فيجب أن تحافظا على كرامتى . . .

هاروت : معلوم يا سيدتى معلوم . (**يدنو منها**) هل لى يا سيدتى أن أساعدك فى خلع معطفك ؟ (**يخلع معطفها فى لطف**)

تامارا : شكرا . هأنذا قد حضرت إليكما وحدى وفاء بوعدى .

هاروت : ونحن أيضا سنفى لك بما وعدناك . تفضلى يا سيدتى اجلسى على هذه الأريكة .

تامارا : (**تجلس**) ماذا صنعتما فى القضية ؟

هاروت : قد حكمنا لك على زوجك .

تامارا : ومتى تعلنان الحكم ؟

هاروت : فى جلسة الغد .

تامارا : هل لكما أن تطلعانى على صورة الحكم ؟

هاروت : الآن ؟

تامارا : نعم .

هاروت : ألا تثقين بنا يا تامارا ؟

تامارا : بلى أريد أن أطمئن ، فقد حكمتما فى مثل هذه القضية من قبل للزوج على الزوجة .

هاروت : وكيف عرفت ؟

تامارا : هذا حديث المدينة كلها . لقد هز حكمكما هذا نساء بابل .

هاروت : فسيهز حكمنا فى قضيتك رجال بابل .

تامارا : لن يطمئن قلبى حتى أرى نص الحكم ، فإنى أعتقد أن القضيتين متماثلتان ليس بينهما فرق .

هاروت : بل بينهما فرق كبير . ليس لتلك المرأة مثل هذا الجمال الساحر !

تامارا : وما شأن الجمال فى الحكم ؟

هاروت : إن جمالك يا تمارا لا يصح أن يحجب عن العيون . هو أعظم وأسمى من أن تتمتع به عينا رجل واحد .

تامارا : ليت شعرى أقاض أنت أم شاعر ؟

هاروت : (**غير ملتفت إلى كلامها**) هبى أن حاكما من الحكام بدا له فأمر الناس أن يعصبوا عيونهم لئلا يروا ضوء الشمس فماذا تقولين فيه ؟

تامارا : (**تضحك**) ظالم سخيف .

هاروت : فكذلك من يريد أن يعصب عيون الناس لئلا تشهد محاسن تكوينك !

تامارا : (**ضاحكة**) لكن زوجى لا يريد أن يعصب عيون الناس .

هاروت : يريد أن يلف العصابة على محاسنك ومفاتنك حتى لا تراها العيون ، فكأنما عصب العيون .

تامارا : تعنى أن النتيجة واحدة ؟

هاروت : بل إن عمله هذا أسوأ وأظلم .

تامارا : (**ضاحكة**) كيف ؟

هاروت : العيون المعصوبة قد تغافل الرقيب فترفع عصابتها لتسترق النظر إلى ضوء الشمس . أما الذى يحجب محاسنك فكأنما يحجب الشمس ذاتها فلا تراها العيون أبدا .

تامارا : (**ضاحكة**) أما إنك لتحسن الغزل .

هاروت : هل يوجد فى الدنيا من لا يحسن الغزل بين يديك ؟

تامارا : تذكرا أنكما قاضيان .

هاروت : القاضى الذى لا يعرف ميزان الجمال كيف يعرف ميزان الحق ؟

تامارا : (**فى دلال**) فما حكمكما على جمالى ؟

هاروت : أنت يا تامارا أجمل أنثى فى الأرض .

ماروت : (**يتشجع**) فى الأرض وحدها ؟ فى الأرض وفى السماء !

تامارا : مبالغة سخيفة . منذا يعلم ماذا فى السماء ؟

ماروت : نحن يا تامارا نعلم . هناك الحور العين ، وأنت أجمل من الحور العين .

هاروت : (**يدفعه بكوعه**) ماروت . راقب ما تقول .

ماروت : (**غير مبال بتحذيره**) هذا رأيى أنا فاحتفظ أنت برأيك .

تامارا : (**فى دهش**) الحور العين ؟ أين رأيتهن ؟

ماروت : رأيناهن فى السماء .

تامارا : (**متعجبة**) فى السماء ؟ أكنتما فى السماء ؟

ماروت : (**يدرك أنه تورط**) .... ؟

هاروت : (**لينقذ الموقف**) يقصد يا تامارا أنه تخيلهن فكأنه رآهن .

تامارا : هذا إذن من المبالغة التى لا أستحبها .

هاروت : أجل إن جمالك فى غنى عن ذلك .

(**يحمر وجه ماروت خجلا**)

تامارا : (**بعد صمت يسير**) لا شك أنكما رأيتما ملكتنا إيلات ؟

الاثنان : نعم .

تامارا : الناس يقولون عنى أنى أشبهها .

ماروت : أجل إنك لتشبهينها شبها كبيرا .

هاروت : معذرة بل هى التى تشبهك !

(**تبتسم تامارا فى إعجاب ويتغير وجه ماروت من جديد**)

تامارا : فأينا أجمل عندك أنا أم هى ؟

هاروت : أنت .

تامارا : (**تلحظ تغير وجه ماروت فتحاول أن تسرى عنه**) وعندك أنت ؟

ماروت : (**فرحا**) أنت يا تامارا أجمل .

تامارا : (**تضحك**) لو سمعتكما الملكة لعزلتكما من المنصب .

هاروت : نحن لا نخشى فى الحق لومة لائم .

(**يضع هاروت يده على ذراعها فيفعل ماروت مثله**)

تامارا : (**تسحب ذراها متغاضبة**) تبا لكما .. سكرانان ؟

هاروت : أجل يا تامارا أسكرتنا خمر عينيك .

تامارا : (**فى دلال**) إذن فسأمضى عنكما حتى تفيقا من سكركما .

هاروت : لن نفيق حتى نذوق من رحيق شفتيك . (**يدنى فمه من فمها**)

ماروت : (**محتجا**) ما هذا يا هاروت ؟ أوَ قد نسيت الاتفاق الذى بيننا ؟

تامارا : (**فى ارتياب**) اتفاق ؟ أى اتفاق ؟

ماروت : (**يتلعثم**) ....؟

هاروت : أن نحافظ عليك يا تامارا حتى تكونى أنت التى تجودين من تلقاء نفسك .

تامارا : لن أجود بشىء حتى تطلعانى على نص الحكم .

هاروت : قد تركناه فى المحكمة لنعلنه فى جلسة الغد .

تامارا : لا شىء لكما عندى حتى تحضراه فأطلع عليه .

هاروت : اذهب يا ماروت فأحضره لنا .

ماروت : (**فى ارتياب**) بل اذهب انت فأحضره .

هاروت : (**ينهض**) حبا وكرامة . من أجل تامارا أنا مستعد أن أحضره من أقصى الأرض . (**يخرج من الباب الأيمن**)

ماروت : أنا يا تامارا الذى كتبت صيغة الحكم ، و لم يفعل هو شيئا غير التوقيع .

تامارا : (**باسمة**) صحيح ؟

ماروت : وأنت حقا أجمل من الحور العين فى السماء وإن أنكر هو هذه الحقيقة .

تامارا : أتعود مرة أخرى إلى ذكر السماء وتخيل من فيها من النساء ؟

ماروت : كلا يا تامارا .. نحن رأيناهن بأعيننا و لم نتخيل .

تامارا : أتريد منى أن أصدق هذا الهراء ؟

ماروت : أقسم لك بإلٰهى أن هذا لهو الحق .

تامارا : ومن إلٰهك ؟

ماروت : رب العزة .. رب العرش العظيم . إلٰه السماوات والأرض .

تامارا : أنا لا أؤمن بإلٰهك هذا فكيف آخذ بقسمك ؟

ماروت : بأى شيء تريدين أن أقسم لك ؟

تامارا : لا أريد قسما بل أريد برهانا على صحة ما تزعم .

ماروت : اقترحي أى شيء تريدين أن أحضره لك فى الحال قبل أن يرتد إليك طرفك .

تامارا : (**فى اهتمام**) أى شىء أريد ؟

ماروت : نعم .

تامارا : (**بعد تفكير يسير**) أحضر لى عقدا من عقود الملكة إيلات .

ماروت : حبا وكرامة . (**يتمتم بكلمات ويمد يمينه فى الهواء فإذا عقد ماسى يتلألأ فى كفه**) خذى يا تامارا .

تامارا : (**تأخذ العقد مدهوشة وتقلبه فى يدها كأنها لا تصدق ما ترى**) لكن ما يدرينى أن هذا من عقود الملكة ؟

ماروت : اقترحى أى شىء آخر .

تامارا : أحضر لى الساعة نص الحكم قبل أن يحضره صاحبك من المحكمة .

ماروت : حبا وكرامة . (**يتمتم بكلماته ويمد يمينه فى الهواء فإذا ظرف كبير يسقط فى كفه**) تفضلى .

تامارا : (**تقلب الظرف فى دهش**) أهو هذا ؟

ماروت : نعم .. أخرجى ما بداخله .

تامارا : (**تخرج ما فى الظرف فإذا طومار كبير فتنشره وتتصفح ما فيه**) صحيح . هذا نص الحكم إنك لساحر كبير !

ماروت : كلا يا تامارا لست بساحر .

تامارا : فأى شىء أنت ؟

ماروت : (**يتردد قليلا**) ....؟

تامارا : ما بالك لا تجيب ؟

ماروت : تكتمين السر يا تامارا ؟

تامارا : نعم .

ماروت : وتجودين على بوصلك ؟

تامارا : نعم .

ماروت : أنا يا تامارا من الملائكة !

تامارا : (فى اهتمام) لست من أهل الأرض ؟

ماروت : لا يا تامارا أنا من أهل السماء .

تامارا : وهاروت ؟

ماروت : وهاروت أيضا .

تامارا : هل تعنى أنكما تستطيعان الهبوط والصعود بين السماء والأرض ؟

ماروت : نعم .

تامارا : كيف ؟

ماروت : بالسر الذى عندنا .

تامارا : أتعنى أن عندكما مثل ذلك السر الذى كان عند علمائنا فى عهد الملك سواع ؟

ماروت : بل أكبر من ذلك يا تامارا .. عندنا السر الأعظم

تامارا : من علمه لكما ؟

ماروت : إلـهنا .

تامارا : إلـٰه السماء ؟

ماروت : نعم .

(تغرق تامارا فى فكر عميق) .

تامارا : كلا لا أصدقك حتى أرى مصداق ذلك بعينى رأسى . أرنى كيف تصعد إلى السماء .

ماروت : إلى أى كوكب تريدين ؟

تامارا : إلى الزهرة .

ماروت : وتجودين على بوصلك ؟

تامارا : نعم .

(يتمتم ماروت ببضع كلمات ويندفع نحو الحديقة فيختفى ويسمع حفيف صاعد)

تامارا : **(تنظر نحو أفق الحديقة مدهوشة)** صعد حقا . اختفى فى لمح البصر ! **(تتلفت حوليها فى خوف)** آه لو أدركه جدى سواع !

(تمشى جيئة وذهابا فى قلق)

(يسمع حفيف هابط ولا يلبث أن يعود ماروت إلى الظهور)

ماروت : هأنذا قد عدت من كوكب الزهرة .

تامارا : **(مرتابة)** بهذه السرعة ؟

ماروت : وهذه جوهرة جلبتها لك من هناك . **(يقدم لها الجوهرة فى**

حجم البيضة)

تامارا : (**تتأمل فى الجوهرة مدهوشة**) ...؟

ماروت : هيا يا تامارا قبل أن يعود هاروت .

تامارا : (**فى ذهول**) ماذا تريد ؟

ماروت : ما وعدتنى به .

تامارا : (**تنظر إليه مليا**) آسفة يا سيدى .. هذا أمر لا سبيل إليه.

ماروت : فيم يا تامارا ؟

تامارا : أنا لا أستطيع أن أخون زوجى .

ماروت : دعينى من هذا .. إنى أعلم أن نساء بابل لا يرين بأسا فى اتخاذ أخدان لهن من وراء أزواجهن .

تامارا : لكنى لست مثلهن . إنى أحب زوجى وأعبده .

ماروت : ذاك الذى يتحكم فيك ويقسو فى معاملتك ؟

تامارا : مهما يقس على فإننى أحبه .

ماروت : هذا الحسن يا تامارا لم يخلق لرجل واحد .

تامارا : ماذا أصنع ؟ لا أستطيع أن أحب غيره .

ماروت : ذلك لأنك لم تجربى غيره .

تامارا : ربما .

ماروت : ماذا يمنعك ؟

تامارا : الحب الذى لم يترك فى قلبى أى مكان لسواه

ماروت : أنا أستطيع أن أخلصك من هذا الحب .

تامارا : مستحيل . لا توجد قوة تستطيع أن تفرق بيني وبين زوجي الحبيب . (**يتمتم ماروت بكلمات ثم ينظر إلى تامارا**)

تامارا : (**تصيح فجأة كالمستغيثة وقد تغير وجهها من الرعب**) بعل ! بعل ! أدركني يا بعل ! بعل !

بعل : (**يدخل مسرعا**) لبيك يا حبيبتي . هأنذا بين يديك .

(**يدهش ماروت فيقف واجما في روع وخجل ويزداد دهشة حين رأى تامارا تنظر إلى بعل في استياء وغضب**)

تامارا : ماذا جاء بك ؟ أجئت تتجسس على ؟

بعل : ناديتني يا حبيبتي فلبيت نداءك .

تامارا : كلا ما ناديتك .

(**يدخل هاروت فيعروه الدهش فيقف صامتا في أحد الأركان**)

بعل : لا لوم عليك . اللوم على هذين القاضيين النزيهين !

تامارا : أنا التي حضرت إليهما لأطلع على صورة الحكم .

بعل : قبل إعلانها في المحكمة ؟

تامارا : لم أستطع أن أصبر .

بعل : لا ريب أنهما حكما لصالحك .

تامارا : خذ اطلع عليه بنفسك . (**ترمي له صورة الحكم**) .

بعل : (**يتصفح صورة الحكم**) كلا لا أقبل حكم هذين أبدا .

تامارا : ألست أنت الذي اقترح على أن نحتكم إليهما ؟

بعل : كنت أظنهما نزيهين ، وكان المتفق بيننا ألا نخبرهما بحقيقتنا .

تامارا : أنا لم أخبرهما بعد . ولكنى سأكشف لهما الحقيقة الآن . أيها القاضيان أعلما اننى إيلات ملكة بابل وهذا زوجى بعل . (**يتبادل هاروت وماروت النظرات**)

إيلات : (**لزوجها**) هات صورة الحكم .

بعل : لا يمكننى أن أقبل هذا الحكم .

إيلات : فهأنذا أمزقه بين يديك . (**تمزق الرق وترمى به فى الأرض**)

بعل : (**فرحا**) شكرا يا إيلات . سامحينى فيما بدر منى فى حقك .

إيلات : لا تتعجل بشكرى . إنما مزقت هذا الحكم لأنى لم يعد يهمنى رضاك أو سخطك

بعل : إيلات !

إيلات : حذار أن تتداخل فى شئونى بعد اليوم .

بعل : لكنى أنا زوجك .

إيلات : أنا ملكة بابل أتصرف كما أشاء ، فإن لم يعجبك الحال فارجع إلى قومك وبلدك . (**تأخذ معطفها فترتديه**) أيها القاضيان شكرا لكما على حكمكما العادل . (**تخرج منصرفة**)

بعل : (**للقاضيين**) سيكون لى معكما شأن . (**يخرج وراء زوجته**)

هاروت : ماذا صنعت يا ماروت ؟

ماروت : (**يتقي النظر إليه ولا يجيب**) ....؟

(يلتقط هاروت صورة الحكم الممزقة فينظر فيها ثم ينظر إلى ماروت فى غضب)

هاروت : أوَقد فعلتها ؟

ماروت : معذرة يا أخى .. تركتنى وحدى فلم أستطع أن أقاوم . والله إنهم لمعذورون .

هاروت : من هم ؟

ماروت : بنو آدم يا هاروت .. بنو آدم .

هاروت : (**يأخذ بتلابيب ماروت فى عنف**) أيها الخائن ..

(ســتار)

الفصل الثالث

حجرة متوسطة فى جناح الملكة . للحجرة ثلاثة أبواب : الأول فى الجانب الأيسر من المسرح وهو يؤدى إلى مخدع الملكة . والثانى فى أدنى يمين المسرح ويؤدى إلى بقية جناح الملكة .

أريكة فى صدر المسرح وإلى جانبها شرفة تطل على حديقة القصر ويظهر من خلف الشرفة برج بابل فى الأفق البعيد . على أركان الحجرة تماثيل بالحجم الطبيعى لسواع ويغوث وغيرهما من ملوك الأسرة .

الوقت : الأصيل .

يرفع الستار فنرى إيلات والقهرمانة داخلتين من الباب الثانى وهما تتحدثان بصوت خافض وقد لبست إيلات زينتها كاملة .

مناة : يسعدنى جدا أنك يا مولاتى قد تخلصت من ذلك القيد الثقيل . ولكن إياك أن تتوليهما شيئا قبل أن تستخرجى منهما ذلك السر .

إيلات : أخشى يا مناة أن يغلبانى فقد بدأ حبهما يضطرم فى قلبى .

مناة : حذار يا مولاتى . تماسكى قليلا ريثما يرضخان .

إيلات : أكاد أيأس يا مناة من رضوخهما فى هذا الأمر .

مناة : بل ثقى يا مولاتى أن الرجل إذا تعلقت شهوته بامرأة ، فإنه يضحى فى سبيلها إن عاجلا أو آجلا بحياته وشرفه وكل شىء .

إيلات : والمرأة يا مناة أليس يصدق ذلك عليها أيضا ؟

مناة : هذا حق يا مولاتى ، ولكن لا تنسى أنك تطمعين فى مطلب عظيم يوشك أن تحققى به ما عجز عنه جدك سواع . تذكرى أنك إذا ظفرت بهذا السر فسيدين لك هذا الكون كله بأرضه وسمائه مما لم يبلغه قبلك أحد من العالمين .

إيلات : (**بعد صمت يسير**) هل أعددت يا مناة لمجلسنا اليوم ؟

مناة : نعم .. هيأت المخدع يا مولاتى وأعددت به كل ما يلزم .

إيلات : هلا اخترت مكانا آخر غير المخدع فإنى أخشى على نفسى منه .

مناة : ذكرت يا مولاتى خطره عليك ، وتناسيت خطره على خصميك .

(**تتوجه نحو المخدع**) تعالى يا مولاتى لترى بنفسك .

(**تخرج من الباب الأيسر وتتبعها إيلات ثم تعودان**)

مناة : (**تشير إلى بساط الشراب الممدود أمام الأريكة**) وهذه يا مولاتى باطية خمر يرجع تاريخها إلى مائة وخمسين عاما قبل

بناء البرج .

إيلات : من أين جئت بها ؟

مناة : من قبو المعبد .

إيلات : لكن هذه ستصرعني من أول كأس . (**تجلس على الأريكة**)

مناة : هذه لهما يا مولاتي وليست لك . قد أعددت لك هذا النبيذ الخفيف لتشربي منه على ألا تزيدي على كأسين . (**يظهر بعل على الباب الأيمن . فينقطع حديث المرأتين**)

بعل : هل لي أن أدخل يا إيلات .. أم ..

إيلات : ادخل إذا شئت .

بعل : (**يقترب من الأريكة فيجلس**) هل للزوج أن يتحدث إلى زوجته على انفراد ؟

(**تنسحب مناة دون كلام**)

إيلات : لا تذهبي بعيدا يا مناة فإني سأحتاج إليك .

مناة : سأعود إليك يا مولاتي حينما يفرغ زوجك من حديثه .

(**تخرج**)

إيلات : ماذا تريد يا بعل ؟

بعل : ماذا أريد ؟ أليس لي أن أجلس إليك وأتحدث ؟

إيلات : بلى ، ولكنك أخرجت مناة من عندي قبل أن أتم حديثي معها .

بعل : لن أطيل عليك إذن . سأقول ما عندى وأوجز .

إيلات : تحسن صنعا يا بعل .

بعل : أرى بساط الشراب ممدودا فليت شعرى لمن ؟

إيلات : لإيلات ملكة بابل .

بعل : ومن يكون نديمها اليوم ؟

إيلات : ليس لأحد أن يوجه إليها هذا السؤال ، وليس عليها أن تجيب .

بعل : (**يلين لهجته**) إيلات بحياتك يا حبيبتى ، وبحق حبنا الذى كان مضرب الأمثال ، إلا ما أخبرتنى ما سر هذا التغير الذى طرأ عليك ؟

إيلات : هكذا الحياة يا بعل لا يبقى شيء فيها على وتيرة واحدة . كل شيء فيها يتغير ويتبدل .

بعل : كنت أظن يا إيلات أن كل شيء يمكن أن يتغير ويتبدل إلا الحب الذى بينى وبينك .

إيلات : وأنا أيضا كنت أظن هذا مثلك ، إلى أن تبين لى خطأ هذا الظن فصححت رأيي ، فما عليك يا بعل إلا أن تصحح رأيك .

بعل : لكن يا إيلات لكل شيء سبب .

إيلات : أنت يا بعل كنت السبب .

بعل : إذن فلن أتشدد عليك بعد اليوم . سأتركك حرة تريدين ما

تشائين كما تشائين .

إيلات : (**فى سخرية**) كأنك لم تعد تحبنى فلم تعد تغار على ؟

بعل : (**فى حماسة**) بلى وحياة الآلهة جميعا آلهة قومى وآلهة قومك إنى لأشد ما أكون اليوم حبا لك وغيرة عليك . إنى أغار يا حبيبتى من النسيم إذا هب عليك ، ومن نور القمر إذا تسلل إليك ، ولكن ماذا أصنع ؟ لا أستطيع أن أعيش من دونك .

إيلات : اطمئن فستبقى مقيما معى كما أنت .

بعل : إنى أريد أن نعود كما كنا من قبل .

إيلات : هيهات يا بعل . ما مضى لا يعود.

بعل : إذن فلا بد أن يكون ثم سبب آخر . لعلك غضبت لأنى استجبت قليلا لمغازلات العزى أختك ...

إيلات : (**مقاطعة**) صحيح ؟ ما علمت بهذا إلا منك الآن .

بعل : اقسم لك يا إيلات ما فعلت ذلك إلا لأثير غيرتك لعلك تعودين إلى .

إيلات : (**باسمة**) أنا لم أعد أغار عليك .

بعل : ترى على من تغارين الآن ؟

إيلات : (**ثائرة**) لا أغار على أحد !

بعل : معذرة يا حبيبتى .. ما قصدت أن أسىء إليك ، ولكنى كما تعلمين محب غيور .

إيلات : يجب أن تتخلص من غيرتك الحمقاء إذا شئت البقاء فى بابل .

بعل : وإذا لم أستطع ؟

إيلات : فمن الخير لك أن تعود إلى بلدك .

بعل : ألا تعلمين يا إيلات أن عودتى إلى قومى على هذه الصورة المهينة ، قد تثير فى نفوسهم السخط وتحيى فيها العداوة القديمة ؟

إيلات : (**غاضبة**) أتهددنى يا بعل بقومك ؟ فليأتوا لحربنا فإنى على استعداد لملاقاتهم .

بعل : يا حبيبتى أنا لم أرد تهديدك ، وإنما أردت أن أدعوك إلى ما فيه الخير والسلام لنا ولبلدينا .

إيلات : (**تخرج من ثيابها رسالة فترميها له**) بل أعرف ما يبيته قومك ، وأنت تعرف ذلك أيضا لأن والدك كان يكاتبك فيه . هذه إحدى رسائله إليك .

بعل : (**يتصفح الرسالة بيد مرتجفة**) ما كان يجوز لكم أن تطلعوا على الرسائل الخاصة بين والد وولده .

إيلات : أنتركهم تأتمرون بنا دون أن نكشف سركم ؟ ما بقى إلا أن يهددنا أولئك الرعاة . ألا يكفيهم أننى قبلت أن أتزوج واحدا منهم وأنا سليلة ملوك بابل أعظم دول الأرض ؟

بعل : (**غاضبا**) اسمعى يا إيلات . إنى أعرف ماذا غيرك على . ما

أفسدك على غير هذين القاضيين الجديدين . وحياة الآلهة لأقتلنهما إن لم تقصيهما عنك وتقطعي بهما صلتك .

إيلات : ويلك أين تظن نفسك ؟ فى مملكة الرعاة ؟ اخرج من عندى . اغرب من عينى .

بعل : تذكرى ما أقول . لأقتلنهما إن رأيتهما معك . **(يخرج)**

(تدخل مناة)

مناة : ماذا جرى يا مولاتى ؟

إيلات : ألم تسمعى ما قال هذا الجلف ؟

مناة : لا تكترثى له . دعيه يستعجل نهايته بنفسه فتستريحى من وجوده .

إيلات : أنا خائفة منه يا مناة .

مناة : لن يجرؤ أن يمس شعرة من رأسك .

إيلات : أنا خائفة على القاضيين . لقد توعد ليقتلنهما إذا رآهما عندى . إنه متهور إذا صمم على أمر لم يقف فى طريقه شىء .

مناة : صدقت .. ولكن لا محل لخوفك هذا ألبتة . كيف يمكن قتلهما وعندهما هذا السر الرهيب ؟ أغلب الظن أن أحدا لا يقدر أن يمسهما بسوء .

إيلات : لكن ينبغى الاحتياط مع ذلك .

مناة : سنحتاط يا مولاتى .. سنتخذ كل ما يلزم لحمايتهما وحمايتك فاطمئنى .

إيلات : أقول لك الحق إننى خائفة بعد .

مناة : لا لا يا مولاتى . يجب أن تجعلى قلبك من حديد . تذكرى الهدف الذى أمامك . تذكرى حلم جدك سواع وتذكرى مجد بابل . هل آذن لهما الساعة ؟

إيلات : أوَقد حضرا ؟

مناة : دون أن يعلم بمجيئهما أحد فى القصر .

إيلات : فأين هما الآن ؟

مناة : فى مخدعى .

إيلات : فى مخدعك ؟

مناة : تسللا إليه من الباب الخلفى . (**ممازحة**) لا ينبغى يا مولاتى أن تغارى عليهما منى . ائذنى لى أحضرهما الآن . (**تخرج من الباب الثالث**)

(**تقف إيلات أمام المرآة تصلح هندامها فى شىء من القلق**)

(**تعود مناة وخلفها هاروت وماروت**)

القاضيان : سلاما أيتها الملكة !

إيلات : أهلا بالقاضيين العزيزين . (**تمد إليهما يدها فيقبلانها فى نشوة**)

هاروت : صانك رب الوجود يا أجمل ما فى الوجود .

إيلات : (**تشير إلى جهة الأفق**) تلك أجمل ما فى الوجود .

القاضيان : الزهرة ؟

إيلات : الزهرة . فى اللغة القديمة عندنا يسمونها إيلات .

القاضيان : على اسمك أنت ؟

إيلات : سمانى أبى باسمها لأنه كان يحبها ويعبدها .

هاروت : لقد ظلمك أبوك . أنت أجمل منها ألف مرة .

إيلات : دعنى من هذه المبالغة . إنها أجمل كوكب فى السماء .

هاروت : إنما تلوح لك هكذا من بعيد .

ماروت : ولو صعدت إليها لوجدتها لا تختلف عن هذه الأرض

إيلات : إنما قلتما هذا لتزهدانى فى الصعود إليها .

هاروت : وجلال الله لو يعقل هذا الكوكب لتمنى هو أن يهبط إليك !

إيلات : (**تبتسم**) تفضلا .. اجلسا . (**تشير إلى مقعدين أمام الأريكة فيجلسان**)

مَناة : ائذنى لى يا مولاتى . سأحرس لكم هذا الباب .

(تنسحب من الباب الثانى)

إيلات : أتعرفان هذا المكان ؟ هذا جناحى الخاص وهذا باب المخدع الذى أنام فيه .

القاضيان : (**يرتجفان من الرهبة**) جميل .. جميل . ما رأينا قط أجمل من هذا المكان .

إيلات : ليس من عادتى أن أستقبل أحدا فيه غير زوجى !

القاضيان : هذا شرف لنا كبير أن ننال عندك هذه الحظوة .

إيلات : (**تفرغ لهما من الباطية**) اشربا .. هذه أجود خمر عندى . ليس عندى أغلى منكما اليوم .

هاروت : وأنت يا مولاتى ليس فى الوجود كله أغلى عندنا منك .

إيلات : لو كنتما صادقين لما بخلتما علىّ بشىء .

ماروت : اطلبى منا كل ما تشائين يا مولاتى ...

هاروت : ما خلا السر الأعظم .

ماروت : لأن السر الأعظم لا يجوز لنا أن نكشفه لأحد .

هاروت : قد أخذ علينا الميثاق فى ذلك .

إيلات : إذن فلن أطلب منكما شيئا .

القاضيان : فيم يا مولاتى ؟

إيلات : لأنى أعلم يقينا أنكما سترفضان .

القاضيان : كلا لن نرفض .

إيلات : (**تشير إلى تمثالى سواع ويغوث وتركع أمامهما**) اركعا معى لهذين الإلـٰهين .

القاضيان : نحن لا نركع للأصنام .

إيلات : هذا يغوث أبى وهذا سواع جدى وهما أغلى الآلهة عندى .. اركعا .

القاضيان : (**يسترقان النظر إلى ردفها وهى تركع**) لا نستطيع يا مولاتى . نحن لا نركع لغير الله .

إيلات : (**تظهر الغضب**) لقد أهنتمانى اليوم . لا أحد سواكما

يستنكف أن يركع لأبي وجدي منذ صارا إلٰهين .

هاروت : حتى هرمس ؟

إيلات : ما شأنكما بهرمس ؟

القاضيان : نحن نعبد الله مثل هرمس .

إيلات : أنتما لستما كهرمس . هرمس لا يشرب الخمر وأنتما تشربان . وهرمس لا يطلب مني شيئا وأنتما تطلبان . (**ينظر أحدهما إلى الآخر في خجل**)

إيلات : إن شئتما أن تكونا مثل هرمس فسأقصيكما عني ، لا أجالسكما ولا أنادمكما ولا أريكما وجهي بعد اليوم .

هاروت : حنانيك يا مولاتي لا تقصينا عنك .

ماروت : ولا تحجبي عنا وجهك .

إيلات : لقد أسبغت عليكما من عطفي ما لم أسبغه على أحد قط ، فإذا جزائي منكما أن تعصياني وتستفزا غضبي .

ماروت : والله ما قصدنا أن نعصيك أو نستفز غضبك .

إيلات : كنت أريد أن أتخذكما خدنين مخلصين أبيح لهما ما لم أبحه لغير زوجي ، فإذا أنتما لا تصلحان حتى للمنادمة .

القاضيان : (**في صوت مرتجف**) بل نصلح يا مولاتي . نصلح .

إيلات : هذا السلوك منكما يخالف دعواكما .

(**تسمع جلبة ناحية الباب الثاني وصوت مناة وبعل وهما يتلاحيان فيراع الثلاثة**) .

مناة : (**صائحة**) لا تدخل الآن .. ممنوع الدخول بأمر الملكة .

بعل : (**صوته**) أنا لا أبالى بملكتك . تنحى عن طريقى يا فاجرة ! يا قوادة !

(يدخل بعل هائجا كالثور الجريح والسيف فى يده)

إيلات : ويلك كيف دخلت دون إذنى ؟ ماذا تريد ؟

بعل : أريد أن أقتل عشيقيك هذين . (**يهجم عليهما بسيفه ويضرب ضربات متتابعة ولكن دون أثر فكأنه يضرب فى الهواء**)

بعل : هذا سحر . هذان ساحران .. لقد سحرانى يا إيلات كما سحراك من قبلى .

إيلات : فاخرج إذن قبل أن آمرهما بقتلك .

بعل : لأقتلنك أنت يا فاجرة (**يتوجه نحوها بالسيف**)

إيلات : (**تنطلق إلى الباب هاربة من وجهه وهى تصيح**) اقتلاه اقتلاه .

بعل : (**يخرج خلفها**) لن يحميك منى أحد يا فاجرة .

(يخرج القاضيان خلف بعل)

إيلات : (**صوتها**) اقتلاه اقتلاه .. أجهزا عليه . لا تتركاه حتى يموت .

(تدخل إيلات وخلفها القاضيان وهما ينفضان أيديهما كالنادمين على ما فعلا)

إيلات : تأكدتما أنه فارق الحياة ؟

القاضيان : (**فى ندم وذهول**) نعم .

إيلات : بهذه السرعة !

مناة : (**تخرج من الباب الثالث ثم تعود**) قد مات يا مولاتى حقا .

إيلات : ماذا نصنع بالجثة يا مناة ؟

مناة : لا تشغلى بها بالك . سآمر الآن بحملها ودفنها دون أن يعلم بأمرها أحد . عودوا إلى مجلسكم وشرابكم وانسوا ما حدث كأن لم يكن . (**تخرج من الباب الثالث**) (**يعود الثلاثة إلى مجلسهم كما كانوا**)

إيلات : ما بالكما واجمين ؟ أندمتما على قتله ؟

القاضيان : ما كان ينبغى لنا أن نجترح هذا الإثم الكبير .

إيلات : أكنتما تتركانه يقتلنى ؟

القاضيان : كان فى وسعنا أن نصده عنك دون أن نقتله .

إيلات : ليقتلنى فى وقت آخر ؟

القاضيان : صدقت . لقد قتلنا نفسا لننقذ نفسا أخرى .

ماروت : أرأيت يا مولاتى كيف أطعناك دون تردد .

إيلات : أطعتمانى فيما يضرنى لا فيما ينفعنى .

هاروت : كان يا مولاتى يريد قتلك .

إيلات : من أجلكما أراد قتلى . كنتما أنتما السبب . (**تظهر الأسى**)

لقد كنا أسعد زوجين حتى فرقتما بيني وبينه ثم قتلتماه اليوم، فجعلتماني أرملة . (**تبكي**)

القاضيان : (**مواسيين**) يعز علينا أن نراك تذرفين الدمع .

إيلات : قد فقدت اليوم كل شيء .. فقدت الزوج وفقدت الخدن والصديق . أنا أستحق كل ما أصابني إذ وهبت قلبي لمن لا يستحق !

القاضيان : (**يهمان أن يقولا شيئا فلا يقدران**) ... ؟

إيلات : اللعنة على ذلك اليوم المشؤوم الذي جلبكما إلى هذا البلد .

القاضيان : (**يهمان أن يقولا شيئا فلا يقدران**) ... ؟

إيلات : لقد خدعتماني بذلك السر الذي زعمتما أنكما تملكانه ، فإذا هو سراب في سراب .

القاضيان : كلا ما خدعناك يا مولاتي فنحن حقا نملكه .

ماروت : ولقد رأيت برهان ذلك بنفسك ..

إيلات : أي برهان ؟ أتقصد تلك الجوهرة التي زعمت لي أنك أحضرتها من كوكب الزهرة ؟

ماروت : أنا أحضرتها لك حقا من كوكب الزهرة .

هاروت : أجل يا مولاتي .. ألم تريه كيف صعد ثم هبط ؟

إيلات : بل أنتما ساحران تخدعان عيون الناس كسائر السحرة .

القاضيان : كلا يا مولاتي لسنا بساحرين .

إيلات : السحرة أشرف منكما ، لأنهم لا ينكرون حقيقة مهنتهم

ولا يحتالون على الناس .

القاضيان : يحتالون ؟

إيلات : أنتما نصابان ، وسأعلن هذه الحقيقة لأهل بابل وأعزلكما من القضاء .

ماروت : ماذا نصنع يا مولاتى لنثبت لك أننا نملك السر الأعظم حقا ؟

إيلات : لن أصدق حتى أشهد البرهان بنفسى .. حتى أصعد أنا إلى الكوكب ثم أعود .

ماروت : هذا لن يكون إلا إذا عرفت السر الأعظم .

إيلات : فعلمانى إياه .

(يصمت القاضيان وينظر أحدهما إلى الآخر)

إيلات : (**تنظر إليهما مليا ثم إلى باب المخدع**) آن لى الساعة أن أستريح فمن منكما يحب أن يصحبنى ؟

هاروت : أنا يا مولاتى .

ماروت : بل أنا يا مولاتى .

إيلات : (**تنظر إليهما نظرة فاحصة**) لا مناص لى من اختيار أحدكما .. هلم أنت يا ماروت .. سيجىء دورك يا هاروت فيما بعد .

ماروت : (**ينهض فرحا**) شكرا يا مولاتى .

هاروت : (**يستوقفه وينتحى به جانبا**) حذار يا أخى .. إياك أن تنسى الميثاق حين تكون معها وحدك !

ماروت : (**فى ارتياب**) اطمئن .

هاروت : حذار . إن فى ذلك هلاك الأبد .

ماروت : (**دون أن ينظر إليه**) قلت لك اطمئن .

إيلات : (**فى رقة**) لا تؤاخذنا يا هاروت .. هلم يا ماروت .

(تخرج هى وماروت من الباب الأول) .

(تنطفئ الأنوار ويظلم المسرح برهة تسمع فى خلالها موسيقى خافتة ، ثم يعلو صوت الموسيقى وتعود الأنوار كما كانت ، فنرى إيلات داخلة تتأود فى مشيتها كأنها ترقص ويدخل خلفها ماروت بين النشوة والخجل) .

إيلات : انتظرانى .. سأعود إليكما بعد لحظة (**تنادى**) مناة !مناة !

مناة : (**صوتها**) لبيك يا مولاتى .

(تخرج إيلات من الباب الثالث)

هاروت : (**يدنو من ماروت**) ماذا صنعت ؟

ماروت : (**يتلعثم**) لا شىء .. لا شىء .

هاروت : لقنتها السر ؟

ماروت : لا لا .. معاذ الله .. معاذ الله .

هاروت : لا تكذب . إنى أرى غضب الله مرتسما فى وجهك .

ماروت : غضب الله ؟

هاروت : أجل .

ماروت : لعله من أثر ذنوبنا السابقة .

هاروت : كلا .. لم أره فى وجهك من قبل .. صارحنى بالحقيقة .

ماروت : خذها إذن . أجل لقنتها السر الأعظم . ولو كان عندى سر آخر للقنتها إياه .

هاروت : ويلك قد هلكت هلاك الأبد .

ماروت : لو كنت مكانى لفعلت مثل ما فعلت .

هاروت : كلا لقد اختارتك من دونى لما لحظت فيك من ضعف .

ماروت : دعنى أنصحك يا هاروت .. إن شئت أن تنجو من هلاك الأبد فلا تستجب لها إذا دعتك إلى مخدعها ..

هاروت : أشكرك يا ماروت على نصيحتك وإن كان الأجدر بك لو نصحت بها نفسك !

ماروت : هلاك واحد منا أهون من هلاك الاثنين !

هاروت : هذا الإخلاص الذى تكنه لى يقتضينى يا ماروت ألا أتخلى عنك ولا أتركك تهلك وحدك !!

(تعود إيلات فيقطعان حديثهما)

إيلات : **(تقف أمام الشرفة حيث يظهر كوكب الزهرة فى الأفق)**

هلم انظرا إلى الزهرة ما أجملها وأسطع نورها .

(يدنوان منها وينظران إلى حيث تشير)

ترى أستطيع الآن أن أصعد إليها ثم أعود ؟

(يسكتان فتحاول هى أن تستشف الجواب من

وجهيهما) لا شك عندى أننى قادرة على ذلك . ولكن يجب علىّ أولا أن أعدل بينكما فأنتما عندى بمنزلة واحدة (**تتوجه نحو الباب الأول**) انتظر الآن يا ماروت وهلم أنت يا هاروت .

(تنطفئ الأنوار ويظلم المسرح وتسمع الموسيقى الخافتة كالمرة الأولى ، ثم تعود الأنوار فنرى إيلات وهاروت داخلين يداً فى يد وهما يتأودان كأنهما يرقصان من النشوة بينما يحملق ماروت فى حسرة) .

إيلات : الآن أيقنت أنكما صادقان مخلصان . هلم بنا نصعد إلى الزهرة نحن الثلاثة .

القاضيان : نحن الثلاثة ؟

إيلات : لأستأنس بكما فى الطريق . إنى أشعر برهبة فى الصعود وحدى .

هاروت : حبا وكرامة .

ماروت : يسرنا أن نرافقك فى هذه الرحلة .

هاروت : تعالى قفى أنت فى الوسط . (**تقف إيلات بينهما ، ويعطى هاروت إشارة البدء**) هيا .

(يتمتم الثلاثة بكلمات غير مسموعة ، ثم يخطون بضع خطوات ناحية الشرفة ، وفجأة يقع القاضيان منكفئين على الأرض ، وتختفى إيلات ويسمع حفيف انطلاقها فى

الجو)

ماروت : وَى ! ماذا دهانا ؟ لم نقدر أن نصعد .

هاروت : نزع منا السر الأعظم .. نزع منا إذ أفشيناه .

ماروت : إذن فقد حل علينا غضب الله .

هاروت : هذا بدء غضبه فكيف بمنتهاه .

ماروت : يا ويلنا .. ماذا نصنع ؟

هاروت : ليس أمامنا إلا أن نستغفره .

ماروت : أتراه يغفر لنا !

هاروت : كما يغفر لبنى آدم .

(يرفعان أيديهما وأبصارهما إلى السماء ، ولكنهما لا يستطيعان الدعاء)

هاروت : ما بالك لا تستغفر ؟

ماروت : لا أدرى ماذا دهانى يا هاروت . لسانى لا يتحرك كأنما حبسه حابس .

هاروت : هذا الذى دهانى أيضا يا ماروت .

ماروت : لقد سلبنا حتى القدرة على استغفاره .

هاروت : يا له من غضب عظيم .

(يسمع حفيف هابط ثم تظهر إيلات من جهة الشرفة وعليها مظاهر النشوة)

إيلات : أين كنتما ؟ لماذا افترقتما عنى ؟ هل انطلقتما إلى كوكب آخر ؟

القاضيان : (**متلعثمين**) لا يا مولاتى .. نحن لم ننطلق .

إيلات : بقيتما هنا ؟

القاضيان : نعم .

إيلات : لماذا تخلفتما ؟ ألسنا قد اتفقنا على الصعود جميعا نحن الثلاثة ؟

القاضيان : (**لا يجيبان**) ..... ؟

إيلات : أخبرانى ماذا حدث ؟

هاروت : رأينا أن نبقى نحن لنثبت لك أنك تستطيعين الصعود وحدك .

إيلات : (**فرحة**) أحسنتما . لقد أدركت الآن أننى أستطيع أن أصعد فى السماء حيث أشاء . وحياة سواع لأخضعن شعوب العالم كلها لبابل ! لأجعلنها تركع جميعا لعظمة بابل ! (**يرتاع القاضيان مما سمعاه**)

ماروت : لا حق لك أن تستخدمى السر فى البغى والطغيان .

هاروت : ليسلبن منك إن فعلت .

إيلات : لا تحاولا أن تخدعانى . كيف لم يسلب منكما وقد استعملتماه فيما هو شر من ذلك ؟ فرقتما بين زوجين متحابين ، ثم اغتلتما الزوج للوصول إلى الزوجة .

ماروت : (**فى مرارة**) قد سلب منا فما عدنا الآن نملكه .

إيلات : (**لهاروت**) ماذا يقول صاحبك ؟

هاروت : إجل يا مولاتى إن الله قد غضب علينا فسلبنا هذا السر .

إيلات : (**فرحة**) ها .. لهذا إذن تخلفتما عني ؟ عجزتما عن الصعود معي .

القاضيان : نعم هذه هي الحقيقة .

إيلات : (**مزهوة**) إذن ليس لي في الوجود منافس . لا أحد يملك السر الأعظم سواى . سأكون وحدى المتصرفة في العالم .

(**تجرى جهة الباب الثالث وهي تنادى**) مناة ! مناة !

(**تخرج**)

هاروت : علينا أن نحول بينها وبين ما تريد .

ماروت : كيف ؟

هاروت : نقتلها .

ماروت : نقتلها ؟؟

هاروت : لنحول دون فساد كبير وشر مستطير . ها هي ذى قادمة ! استعد يا ماروت !

(**تدخل إيلات ومناة**)

إيلات : إن كنت في شك يا مناة فسليهما بنفسك ... (**ينقضان عليها بغتة**) أدركيني يا مناة ! النجدة ! النجدة !

(**تحاول مناة أن تنجد إيلات فيركلها أحد القاضيين فتقع على الأرض**)

مناة : (**تنهض من كبوتها وتنطلق نحو الباب الثاني وهي تصيح**) النجدة ! النجدة !

(تخرج)

(يطبقان بأيديهما على عنق إيلات ليخنقاها)

هاروت : اضغط يا ماروت .

ماروت : اضغط أنت .

إيلات : **(تبتسم بعد أن زال عنها الروع وأيقنت أنهما عاجزان عن أن يلحقا بها أى سوء فتقول ساخرة)** اضغط يا ماروت .

(تعود مناة ومعها جماعة من الحرس مسلحون)

إيلات : **(للحرس)** مكانكم ! سأريكم الآن أنهما لا يقـدران على . **(ترسل قهقهة عالية وتدفع القاضيين فيقعان هدا على الأرض)** أيها الخائنان أنسيتما أن السر قد أصبح فى يدى أنا وحدى ؟

(يستولى الدهش على الجميع) اقبضوا عليهما وسوقوهما إلى سجن البرج . **(يقبض الحرس عليهما ويحاولان المقاومة فلا يقدران حتى يخرجوا بهما من الباب الثانى)**

مناة : **(تنظر إلى إيلات فى دهش ورهبة)** ... ؟

إيلات : آمنت الآن يا مناة ؟

مناة : آمنت يا مولاتى .

إيلات : **(فى نشوة)** إلى أى كوكب تقترحين أن أصعد ؟

مناة : الآن ؟

إيلات : نعم .

مناة : لا يا مولاتى ليس الآن .. ليس الآن .

إيلات : لماذا ؟

مناة : أنا خائفة يا مولاتى ...

إيلات : خائفة ؟ أنا الآن قادرة على كل شىء . أنا إلـٰهة يا مناة .. إلـٰهة ! إلـٰهة !

(ستـار)

الفصل الرابع

ساحة البرج (برج بابل) المبنى فوق تل يشرف على مدينة بابل . الجانب الأيسر من المسرح يشغله جزء من قاعدة البرج ، ومن هذه القاعدة يرتفع درج جانبى على شكل لولبى حتى يصل إلى قمة البرج ، ولا يرى من ذلك بالطبع غير الجزء الأسفل على قدر ما يسمح به ارتفاع فتحة المسرح . يرى فى هذا الجزء من قاعدة البرج تجويف تشغله زنزانة تحوطها قضبان من الحديد اعتاد أهل بابل أن يسجنوا فيها كبار المجرمين ممن لا أمل فى إطلاق سراحهم .

أما الجانب الأيمن من المسرح فهو جزء من ساحة البرج تقوم بأركانه مصاطب مما يجلس عليه حرس البرج وهو ينحدر بالتدريج إلى سفوح التل من كل جانب .

الوقت : أول الصباح .

يرفع الستار فيرى ماروت نائما فى الزنزانة مسندا ظهره إلى حائطها ، ونرى هاروت جالسا ينظر إليه كأنه يهم بإيقاظه فلا يجرؤ على ذلك (تسمع قرقعة آتية من الجانب الآخر من التل « خلف المنظر » كالذى يحدث من

جر عربات إلى أعلى التل) .

هاروت : ترى ماذا يجرى هناك ؟ ما هذه الجلبة والقرقعة ؟ (**ينادى**) يا حارس ! يا حارس ! لا أحد هنا لنسأله . حتى الحارس تركنا وذهب يتفرج . (**ينظر إلى ماروت فى برم**) وهذا يغط فى النوم ! لأوقظنه وليفعل ما بدا له . ماروت ماروت ! اصح يا ماروت . (**يهزه بيده هزا شديدا**) ماروت !

ماروت : (**يستيقظ**) أوه ماذا تريد ؟

هاروت : اصح ، ألا تسمع هذه الجلبة هناك ؟

ماروت : (**غاضبا**) ما شأنى أنا بذلك ؟ تبا لك . أطرتها منى .

هاروت : أكانت هى معك ؟

ماروت : كنت أتوقع مجيئها .

هاروت : ما زلت يا ماروت لا تفهم طبيعة الحلم . إنه لا يجىء وقتما تريد ولا حسبما تريد .

ماروت : (**يتنهد**) آه إنى أكاد أجن . قلبى يتقطع ، وصدرى يتمزق ، وأحشائى تضطرم بالنار . ماذا أصنع ؟ ماذا أصنع ؟

هاروت : ليس أمامك غير الصبر .

ماروت : ما عندك غير هذا القول تردده . الصبر .. الصبر .. ومن أين لى هذا الصبر ؟

هاروت : الصبر لا يجيء بغير التصبر .

ماروت : وهذا التصبر كيف السبيل إليه ؟

هاروت : يجب علينا أولا أن نواجه الحقيقة الأليمة : إن إيلات لن تواصلنا مرة أخرى أبدا .

ماروت : (في ثورة مكبوتة) كلا لا تسمعني هذا القول يا هاروت .. أتوسل إليك . دع لي شيئا من الأمل في ضمة منها أو قبلة أو حتى ابتسامة .

هاروت : سنظل نتعذب ما لم يرحنا اليأس .

ماروت : أوَ قد يئسنا من روح الله يا هاروت ؟

هاروت : كيف نأمل في روح الله ونحن نفكر بعد في عصيانه ؟

ماروت : العصيان قد وقع يا هاروت ، فلا أقل من أن نذوق اللذة التي جعلها الله فيه .

هاروت : قد ذقتها يا ماروت .

ماروت : مرة واحدة ! خير منها لو لم أذقها قط !

هاروت : يا ليت أننا استعصمنا فلم نقع في المعصية .

ماروت : يا ليت ؟ لكنا قد وقعنا فليكن لنا نصيب من لذتها يعادل نصيبنا في إثمها . ليس من العدل أن نستوجب غضب الله من أجل لذة لم نستوعبها وما بقي لها من أثر في نفوسنا غير مرارة الحرمان !

هاروت : الواجب علينا الآن أن نستشعر الندم على ما كان .

ماروت : إن الندم ليقطع قلبي . أوَ لست تشعر به مثلي ؟

هاروت : أعني الندم لوقوعنا في الخطيئة لا لحرماننا من اللذة .

ماروت : احلف لي أنك غير نادم لحرمانك من اللذة .. احلف .

هاروت : لا أستطيع أن أحلف .

ماروت : أنت إذن مثلي ، ففيم تكاذبني وتكاذب نفسك ؟

هاروت : إنما أردت أن نتواصى بالتوبة النصوح لعل ربنا يغفر لنا حين نستغفره .

ماروت : كيف السبيل إلى استغفاره وألسنتنا معقودة دونه ؟

هاروت : ذلك أن رغبتنا في التوبة غير صادقة .

ماروت : وما الذي جعلها كذلك ؟

هاروت : الشهوة . قاتل الله الشهوة !

ماروت : وهذه ما زالت مركبة فينا ؟

هاروت : نعم .

ماروت : لماذا إذن نصدع رؤوسنا بحديث التوبة ؟

هاروت : لماذا ؟ لأننا حيل بيننا وبين إشباع هذه الشهوة !!

ماروت : الآن حصحص الحق . كيف تلومني إذن ولا تلوم نفسك ؟

هاروت : (**في أسى**) ويحك يا أخي . من قال لك إنني لا ألوم نفسي إذ ألومك ؟ ألا ترى ما نحن فيه .. الشهوة حبيسة فينا ونحن حبيسان في هذه الزنزانة !!

ماروت : (**بعد صمت يسير وبصوت خافض**) وحسناوات بابل

مطلقات سائبات !

هاروت : من كل شكل ولون . يا ليتنا كنا غازلناهن وتركنا إيلات . إذن لما حاق بنا هذا المصير الأليم .

ماروت : أنت كنت أحسن حظا مني يا هاروت إذ بلوت معها نساء أخر .

هاروت : كلا يا ماروت . لقد جعلني ذلك أشد ألما وحسرة . أنت فطمت عن واحدة وأنا فطمت عن كثير .

ماروت : لكنك شفيت غليلك .

هاروت : كلا يا ماروت . هذا غليل لا يزيده البلال إلا اشتعالا !

ماروت : هذا هرمس مقبلا إلينا .

(يظهر هرمس من جهة المنحدر على اليمين)

ماروت : ماذا يريد ؟ أيريد أن يوبخنا بعد ؟

هرمس : كيف حالكما أيها الأخوان الممتحنان ؟

هاروت : كما ترى يا هرمس .. فى هذه الزنزانة .

ماروت : يذيبنا حر الشمس بالنهار ، ويجمدنا زمهرير البرد فى الليل .

هرمس : وارحمتا لكما .. يا ليتنى أستطيع أن أصنع لكما شيئا .

ماروت : كان فى وسعك أن تشفع لنا عندها فلم تفعل .

هرمس : قد والله فعلت ولكنها لم تقبل . صارت اليوم لا توقرنى ولا تسمح لى .. بل صارت لا تأذن لى حتى بدخول القصر . إن السر الذى علمتماه لها قد أطغاها وجعلها تعتقد أنها إلـٰهة

تتصرف فى الأرض وفى السماء كما تشاء . (**تسمع القرقعة والجلبة من جديد**)

هاروت : ما هذا يا هرمس ؟

هرمس : هذه المركبات التى أعدتها لتحمل جنودها إلى الكواكب لاحتلالها والسيطرة منها على شعوب الأرض . فساد عظيم وبغى كبير !

هاروت : لقد حاولنا قتلها ذلك اليوم لنحول بينها وبين هذا الطغيان الكبير .

ماروت : ولكن رب العزة سلطها هى علينا وسلب منا القدرة .

هاروت : ولولا ذلك لقطعنا دابر هذا الفساد .

هرمس : يا لكما من خاطئين ! عصيتما الله عز وجل ثم ألقيتما تبعة العصيان عليه . ما خطبكما ؟ ألم تدركا بعد عظم الذنب الذى ارتكبتماه ؟ فى سبيل شهوة رخيصة من شهوات الجسد وضعتما السر الأعظم فى يد امرأة فاسقة !

هاروت : ما كنا نعلم أنها ستستعمله فى البغى والطغيان .

هرمس : وفى سبيل الشهوة الآثمة كدرتما صفو السلام ، وعرضتما البلاد والعباد لحرب مدمرة لا تبقى ولا تذر .

الاثنان : أى حرب يا هرمس ؟

هرمس : تلك التى أعلنها علينا ملك الرعاة .

هاروت : ملك الرعاة ؟

ماروت : أعلن الحرب ؟

هرمس : ألم يبلغكما ذلك ؟

ماروت : من أين ونحن معتقلان فوق هذا التل المنقطع ؟

هرمس : انتقاما لابنه الذى قتلتماه ! فانظرا ماذا جنت يداكما على العباد والبلاد .

هاروت : ما كنا نعلم أن قتله سيفضى إلى الحرب .

هرمس : كبرت كلمة تخرج من فمك . أيجب أن تعلما ذلك حتى لا تقتلاه ؟ أوَ قد أصبح قتل النفس هينا عندكما إلى هذا الحد ؟

الاثنان : (**يصمتان**) ...؟

هرمس : غدا تسفك الدماء ، ويقتل الأبرياء ، وتذبح الأطفال والنساء ، ويتحول الإنسان وحشا ضاريا يفتك بأخيه دون شفقة ولا رحمة .

هاروت : وعلينا تبعة كل ذلك يا هرمس ؟

هرمس : ألم تكونا أنتما السبب ؟

هاروت : يا ويلنا إذن من سخط الله ومن نقمته .

هرمس : إن من يقتل نفسا واحدة بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا ، فكيف بمن يزهق أرواح الألوف من البشر ؟

هاروت : يا ليتنا ما هبطنا إلى هذه الأرض .

هرمس : قد هبطتما وقضى الأمر .

ماروت : أو ليتنا عدنا مع أخينا عزريائيل قبل التجربة .

هرمس : قد وقعت التجربة وقضى الأمر .

ماروت : فما السبيل يا هرمس ؟ ماذا نصنع ؟

هرمس : توبا إلى ربكما فهو التواب الرحيم .

ماروت : كيف نتوب إليه وقد أوصد من دوننا باب التوبة ؟

هرمس : باب التوبة لا يوصد أبدا فى وجوه التائبين الصادقين !
(ينظر أحدهما إلى الآخر فى خجل) .

هاروت : لا نكتمك يا هرمس أننا عاجزان عن صدق التوبة ، لأن الشهوة تحول بيننا وبين ذلك .

ماروت : فاشفع لنا إلى ربك عسى أن يقبل فينا شفاعتك .

هرمس : **(فى شىء من التأنيب)** كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء ؟

هاروت : قد أيقنا الآن أن الإنسان أفضل من الملك .

ماروت : وأنت إنسان صالح .

هرمس : **(بعد تردد يسير يرفع بصره ويديه إلى السماء)** اللهم بحق ما كرمت الإنسان وقربته إليك إلا ما شفعتنى فى عبديك هذين ، ويسرت لهما سبيل توبتك ، فإن رحمتك أوسع من كل شىء . **(يستولى عليهما فجأة ندم شديد فيبكيان بكاء حارا) .**

هاروت : ماروت !

ماروت : هاروت !

هاروت : واذنباه !

ماروت : واخطيئتاه !

هرمس : الحمد لله .. هذه دموع الندم . هذا أول التوبة . ابتهلا إلى الله واستغفراه .

الاثنان : (**يبتهلان إلى الله فى خشوع**) اللهم اغفر لنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . (**يسمع حفيف هابط من السماء ثم يظهر عزريائيل على إحدى المصاطب**)

الاثنان : (**يهتفان**) عزريائيل ! بشرنا يا عزريائيل !

عزريائيل : أيها الشيقيان .. لقد حزن الملائكة جميعا لما وقع منكما ، ونكسوا رءوسهم خجلا ، وآلوا على أنفسهم ليستغفرن لبنى آدم صباح مساء .

هرمس : (**فرحا**) حمدا لك اللهم ! ما من شر قدرته على خلقك إلا جعلت من دونه خيرا . بشرى لبنى آدم اليوم باستغفار الملائكة .

الاثنان : ونحن يا عزريائيل ماذا قضى رب العزة فى أمرنا ؟

عزريائيل : إن رب العزة جل جلاله يخيركما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة . (**ينظر أحدهما إلى الآخر كأنهما يتشاوران**)

الاثنان : أرشدنا يا هرمس أى العذابين نختار ؟

هرمس : ويحكما اختارا عذاب الدنيا فإنه ينقضى بانقضائها ؛ أما عذاب الآخرة فلا ينقضى أبدا .

عزريائيل : قد نصحكما الإنسان فأطيعاه !

الاثنان : أجل .. قد اخترنا عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة .

(يسمع قرع طبول من بعيد)

ماروت : ما هذا يا هرمس ؟

هرمس : (**يتطلع ناحية المنحدر**) هذا موكب إيلات .

هاروت : صاعدة هنا ؟ ماذا تريد أن تصنع ؟

هرمس : تريد أن تصعد بجنودها إلى السماء فى المركبات التى أعدت لهم .

الاثنان : لا حول ولا قوة إلا بالله .. ليكونن فساد كبير .

عزريائيل : إنى صاعد !

هاروت : انتظر !

عزريائيل : لا أحب أن أشهد موكب القوم الفاسقين .

هاروت : لا ينبغى أن يبقى السر الأعظم فى يدها . اسأله عز وجل أن يسلبه منها كما سلبه منا .

ماروت : حتى لا تفسد فى الأرض وفى السماء .

عزريائيل : أيها الشقيان .. من نحن حتى نقترح على رب العزة ؟ رب العزة أعلم وأحكم فيما قضى وفيما يقضى .

(يختفى ويسمع حفيفه الصاعد)

(يقترب صوت الطبول شيئا فشيئا ثم ينقطع حين تظهر إيلات فى أكمل زينتها وعلى رأسها التاج وهى متأبطة ذراع يعوق الذى ينظر إليها فى شغف وهيام ومن خلفهما مناة ثم بقية الحاشية)

(يتوجه هرمس نحو الملكة فيتهامس الاثنان)

ماروت : يا ويلنا ألا تحس بما أحس به ؟

هاروت : الشهوة تعود والتوبة تذوب ؟

ماروت : أجل يا هاروت ماذا نصنع ؟

هاروت : علينا أن نغض أبصارنا .

ماروت : كيف ؟ إنها تجذب عيوننا إليها جذبا .

هاروت : صدقت فلنولها ظهورنا . (**يجذب صاحبه إلى حيث يستدبران الجهة التي فيها إيلات**)

إيلات : ماذا تفعل هنا يا هرمس ؟

يعوق : لعله يا حبيبتي يريد أن يشهد المعجزة كالآخرين .

مناة : فليشهدها من هناك .. في السفح الآخر مع سائر الشعب .

إيلات : (**في سخرية**) بل جاء هنا لزيارة صديقيه .. القاضيين الصالحين !

مناة : ما كان ينبغي يا مولاتي أن يبقيا حتى اليوم على قيد الحياة .

يعوق : أجل كان يجب قتلهما من قبل .

إيلات : إنما مهلتهما ليشهدا بأعينهما كيف يصعد جنودي في مركباتهم إلى السماء ، فيعلما أني أعظم مما كانا وأشد قوة .

مناة : وبعد ذلك يقتلان ؟

إيلات : نعم .

هرمس : (**متجاهلا كلامهم**) يا بنت يغوث ارجعي إلى صوابك . ما زال في وسعك أن تصوني السلام وتحولي دون نشوب الحرب .

إيلات : الآن بعد ما انطلق جنودنا للقاء جنودهم ؟

هرمس : إن ملك الرعاة على رأس جيشه فأرسلى إليه نجابا يخبره بقبولك لمطلبيه : الاعتذار الكافى لما حدث ، والفدية اللائقة بمقام ابنه القتيل .

إيلات : كلا لا أذيل شرف بابل أبدا .

هرمس : بل تصونين بذلك شرف بابل .

مناة : حذار يا مولاتى أن تصغى إليه . أى شرف يبقى لبابل إذا مرغت خدها تحت قدمى ملك الرعاة ؟

إيلات : ألا تحب السلام يا هرمس ؟

هرمس : بلى . وفى سبيل السلام أنصحك .

إيلات : فالسلام لن يستتب ألا يوم أخضع شعوب الأرض كلها لسلطانى .

هرمس : ذلك هو البغى والطغيان . السلام إخاء وحرية .

إيلات : ذاك حين كنا لا نملك القوة لقهر الشعوب . أما اليوم وعندى هذه القوة الكبرى ، فلأرفعن مجد بابل على العالمين ، ولأجعلنها عاصمة الدنيا كلها بل عاصمة الكون أجمع !

هرمس : حذار يا إيلات . إنك بغرورك هذا تعرضين بابل للدمار ، إذ تؤلبين عليها قوى الأرض .

إيلات : سأريك اليوم يا هرمس أننى كفيلة بقوى الأرض كلها وبقوى السماء معها ، ولو كان بعضها ظهيرا لبعض .

هرمس : إننى لأشفق عليك من جهلك كما أشفق عليك من غرورك .

إيلات : ويلك كيف تجرؤ أن تتهمني بالجهل وعندى السر الأعظم ؟

هرمس : هذا السر الذى انزلق إليك ما هو إلا قطرة من خضم !

إيلات : الذى يملك القطرة حرى أن يملك الخضم !

هرمس : حينئذ يكون ذلك الخضم قطرة من خضم أكبر ، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية له .

مناة : لا تصدقيه يا مولاتى . إنه يخوفك بأساطيره هذه ليصدك عما أنت بسبيله من جعل بابل سيدة العالمين .

(يدخل ثلاثة من ضباط الجيش من الجانب الآخر من السفح)

إيلات : ما وراءكم ؟ هل أعددتم كل شيء ؟

أولهم : مولاتى الملكة .. إن الجنود امتنعوا جميعا من دخول المركبات .

إيلات : امتنعوا ؟

ثانيهم : قالوا إنهم غير واثقين من رجوعهم إلى الأرض .

ثالثهم : وإنهم سيتحولون رمادا فى طبقات الجو .

إيلات : ويل لهم ! ويل للعصاة !

أولهم : كلا يا مولاتى ليسوا عصاة فإنهم لطوع أمرك ، ولكنها مخاطرة مجهولة العاقبة لم يسبق لأحد أن جربها قبلهم ، فهم يخافون .

ثانيهم : وجههم يا مولاتى إلى أى مجهل فى الأرض ، فلن يترددوا فى

طاعتك ولو اقتحموا غابات الوحوش .

مناة : يجب عقابهم يا مولاتى ، وعقاب الذى حرضهم على العصيان .

إيلات : كلا يا مناة . لا ينبغى لغزاة السماء أن يكونوا خائفين.يجب أن أزيل هذا الخوف من قلوبهم . (**تتوجه إلى مؤخرة المسرح لتطل على الجموع المحتشدة فى الجانب الآخر من السفح**)

يا جنودى الأعزاء ! ماذا لو صعدت قبلكم إلى السماء ثم عدت منها إلى الأرض وأنتم تنظرون ؟ أيبقى بعد ذلك فى قلوبكم من خوف ؟

أصوات : (**تهدر كالرعد**) لا لا لا .

إيلات : أتصعدون فى مركياتكم حينئذ بنفوس مطمئنة ؟

أصوات : (**كالرعد**) نعم نعم .

إيلات : فليكن ما تحبون . (**تعود إلى حيث كانت**)

(**يرتفع صوت امرأة تصيح فى الجموع المحتشدة**) .

أصوات : يا شعب بابل ! يا شعب بابل ! استمعوا إلى !

يعوق : هذا صوت العزى !

مناة : ماذا تريد أن تقول ؟

الصوت : يا أهل بابل .. أليس فيكم رجل رشيد ؟ العدو على الأبواب وأنتم غافلون . الرعاة قد هزموا جيش بابل وأنتم هنا

لاهون . إن التى قتلت بعلها فشبت نيران الحرب على شعبها تلهيكم اليوم بألاعيبها وأنتم صامتون ، ثوروا على إيلات وأنقذوا بابل !

أصوات : (**تتعالى من جموع الشعب**) أنقذينا يا إيلات ! أنقذينا من الرعاة . (**ينسحب هرمس إلى حيث كان أمام الزنزانة ليتناجى مع هاروت وماروت**) .

إيلات : (**تعود إلى موقفها الأول**) يا شعب بابل .. اطمئنوا فلا الرعاة ولا أقوى من الرعاة يقدرون أن يصيبوكم بسوء .

أصوات : قد مزقوا جيشنا شر ممزق . أرسلى من بقى من الجنود لقتالهم .

إيلات : أنا لن أقاتلهم بالجنود . سأقاتلهم بالسر الأعظم الذى عندى . إن فى وسعى أن أغزو السماء وأخضعها لبابل ، فماذا يقدر هؤلاء الرعاة أن يفعلوا ؟ سأمهلهم حتى يكونوا على أبواب مدينتكم ثم أسلط عليهم قوتى فأصعقهم جميعا وأنتم تنظرون .

العزى : (صوتها) وارحمتاه لك يا بابل ! لقد صارت على عرشك دجالة مشعوذة تخدع قومها بالأضاليل ، وتمنيهم بالأباطيل ، لتقضى على ما بقى لك من مجد وكرامة . تزعم أنها ستغزو السماء وتخضعها لحكمك ، أفلا تحميك أولا من أعدائك فى الأرض ؟

إيلات : يا شعب بابل .. البرهان الذى سترونه بأعينكم هو الفيصل بينى وبين هذه الأخت الموتورة . ستشهدون الآن جميعا كيف أصعد فى السماء .

العزى : (صوتها) يا أهل بابل . هذه تزعم أنها تملك قوة سحرية تتصرف بها فى الكون كله . فما الذى ألجأها إذن إلى هذا البرج الذى بناه لنا ملك عظيم كان ينشد لبلاده العظمة والمجد عن طريق العلم الصحيح ، لا عن طريق السحر والشعوذة !

إيلات : يا أهل بابل إن فى وسعى أن أنطلق إلى السماء من أى مكان ، ولكنى اخترت الانطلاق من هذا البرج ليتسنى لجميع سكان المدينة أن يشهدوا هذا الحدث ، ثم ليكون تحية لبانية العظيم وإحياء لذكراه . فاهتفوا معى جميعا باسم سواع !

أصوات : سواع ! سواع ! يحيا اسم سواع ! المجد لسواع !

(تتهيأ إيلات لصعود الدرج الجانبى)

يعوق : ألا تودعيننى يا حبيبتى بقبلة .

إيلات : أنا لن أغيب طويلا عنك .

يعوق : يا حبيبتى كل غياب عنك طويل . **(يقبلها فى أول الدرج)** إلى اللقاء يا إيلات .

إيلات : إلى اللقاء .

(تظهر العزى فى المسرح فجأة)

العزى : كلا لن يكون بينكما لقاء .. إلى الأبد ! **(تهجم على يعوق**

بخنجرها فترديه صريعا) يا سارقة الأزواج لا لى ولا لك ؟

إيلات : (**ترسل ضحكة ساخرة**) يا هذه ، إن فى وسعى أن أستبدل به ألوف الأخدان من أجمل رجال الأرض ورجال السماء !؟

(تخرج العزى هائمة على وجهها باكية)

(تصعد إيلات فى الدرج حتى تختفى)

إيلات : (**صوتها من قمة البرج**) أيها الناس انظروا إلى .

(يسمع حفيفها الصاعد)

أصوات : (**هاتفة من كل جانب**) وى ! صعدت فى الهواء ! بغير جناح ! وى ! اختفت فى طرفة عين !

مناة : (**بأعلى صوتها**) وستعود أيها الناس فى طرفة عين !

هرمس : (**بأعلى صوته**) كلا لن تعود .

(يسود صمت عميق إذ تحتبس الأنفاس فى انتظار عودة إيلات ويطول الانتظار دون أن تعود وفجأة يسمع حفيف هابط)

أصوات : ها هى ذى تعود ! هذا حفيفها هابطة !

(ينقطع الحفيف ويظهر عزريائيل على إحدى المصاطب)

هاروت وماروت : (**يصيحان من زنزانتهما**) عزريائيل ،

عزريائيل ، هذا عزريائيل .

هرمس : يا أهل بابل .. هذا ملك من السماء هبط . اسمعوا يا قوم ماذا يقول .

عزريائيل : يا أهل بابل .. إن ملكتكم إيلات قد وصلت إلى كوكب الزهرة !

أصوات : (**هاتفة من كل جانب**) إلى كوكب الزهرة ! تباركت يا إيلات ! المجد لك يا إيلات !

عزريائيل : ولكنها لن تعود !

مناة : (**بأعلى صوتها**) لا تصدقوه .. إن ملكتكم ستعود عما قريب .

عزريائيل : لقد مسخت حجارة فى ذلك الكوكب ، فهى باقية فيه إلى يوم القيامة .

مناة : لا تصدقوه ، لا تصدقوه .

عزريائيل : (**يلقى إلى الأرض بتاج إيلات وحلتها**) هذا تاجها يا قوم وهذه حلتها .

الاثنان : (**يهتفان من زنزانتهما فرحين**) الحمد لله ! الحمد لله إذ سلبها القدرة ومسخها حجارة ! نجونا من تبعة طغيانها الكبير .

مناة : (**غاضبة**) أيها المجرمان ! وحياة الآلهة لأعذبنكما قبل قتلكما أشد العذاب . أيها الجنود سوقوا هذين المجرمين

إلى جب البرج . علقوهما من أرجلهما فيه بحيث يتدلى رأساهما قريبا من الماء ولا يصلان إليه .

الاثنان : (**جزعين**) هرمس ! هرمس ! ادع الله لنا أن ينقذنا من هذا العذاب الفظيع .

هرمس : هذا عذاب الدنيا الذى اخترتماه فعليكما أن تحملاه .

(يفتح الحرس باب الزنزانة فيسوقونهما حتى يخرجوا بهما من الجانب الأيسر وهرمس ينظر إليهما فى رثاء وشفقة)

(فى خلال ذلك كانت مناة تهمس لكبير رجال الحاشية فيتوجهان معا نحو مؤخرة المسرح ليواجهـا جموع الشعب)

الكبير : يا أهل بابل إن ملكتكم إيلات صعدت إلى السماء ولن تعود . انظروا : هذا تاجها وهذه حلتها قد ألقتهما إلى الأرض . يا أهل بابل دعونى أضع هذا التاج على رأس مناة فهى أحق من يخلفها على عرش بابل .

(يضع التاج على رأس مناة)

أصوات : (**تنوح وتعول**) واها عليك يا إيلات ! واحزناه عليك يا إيلات ! يعز علينا أن لا نرى وجهك الجميل بعد اليوم !

مناة : (**لابسة التاج**) لا تبتئسوا يا أهل بابل . إن إيلات قد

صارت إلـٰهة فى السماء . لقد شاءت أن تبقى خالدة فى ذلك الكوكب الزاهر لتطالع الناس بنورها وجمالها فى كل مكان وفى كل زمان .

هرمس : كلا يا أهل بابل . بل غضب الله عليها لبغيها وطغيانها فمسخها حجارة فى ذلك الكوكب .

مناة : اقتلوا هرمس الخائن ! اقتلوا هرمس الكافر !

(يظهر أحد الجنود صارخا)

الجندى : الرعاة ! الرعاة ! الرعاة دخلوا المدينة !

أصوات : (**تتجاوب فى كل مكان**) الرعاة الرعاة !!

مناة : (**تضطرب فى وجل**) اقتلوا هرمس .

(لا يلتفت أحد إلى كلامها فقد استولى الخوف والفزع على الجميع فتفرقوا يمينا وشمالا لائذين بالفرار حتى لا يبقى على المسرح غير هرمس وعزريائيل) .

هرمس : (**فى أسى**) لا حول ولا قوة إلا بالله . (**يهم بالنزول من التل**)

عزريائيل : إلى أين يا هرمس ؟

هرمس : سأنزل إلى المدينة لعلى أستطيع أن أوقف هذه المذابح .

عزريائيل : قد فات الأوان يا هرمس . إن الله قد قضى على بابل أن يهلك أهلها بالسيف ثم بالطاعون ثم بالطوفان !

هرمس : (**يبتهل**) يا إلـٰهى أين إذن لطفك ورحمتك ؟ بل أين وعدك

وعهدك ؟ يا جاعل الإنسان خليفة . أين تكرمتك للإنسان ؟!

عزريائيل : رويدك يا هرمس لا ينبغى أن ترتاب بعد إيمان . إن بابل قد وقفت فى طريق تقدم الإنسان ، فوجب أن تبيد لينشأ مكانها جيل جديد من إنسان جديد .

هرمس : أنا نازل إذن لألقى معهم المصير .

عزريائيل : بل تصعد معى إلى السماء .

هرمس : ماذا أصنع فى السماء ؟ إنى لا أريد أن أصير ملكا من الملائكة .

عزريائيل : اطمئن يا هرمس فلن تصير ملكا من الملائكة . ستبقى إنسانا على حالك .

هرمس : فالأرض هى وطن الإنسان .

عزريائيل : ويحك يا هرمس ما خطبك ؟ ألست تعلم أن الإنسان سوف يصعد يوما إلى السماء ويستوطن الكواكب والنجوم ؟

هرمس : بلى ولكن ذلك فى مستقبل بعيد .

عزريائيل : أنت طليعة ذلك الإنسان يا هرمس .. إنسان المستقبل !

(ستار الختام)

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

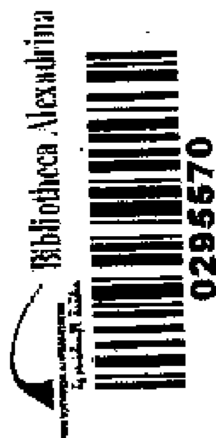
(١) اخناتون ونفرتيتى
(٢) سلامة القس
(٣) وا إسلاماه
(٤) قصر الهودج
(٥) الفرعون الموعود
(٦) شيلوك الجديد
(٧) عودة الفردوس
(٨) روميو وجولييت
(٩) سر الحاكم بأمر الله
(١٠) ليلة النهر
(١١) السلسله والغفران
(١٢) الثائر الأحمر
(١٣) الدكتور حازم
(١٤) أبو دلامة
(١٥) مسمار جحا
(١٦) مسرح السياسة
(١٧) ماسأة أوديب
(١٨) سر شهر زاد
(١٩) سيرة شجاع
(٢٠) شعب الله المختار
(٢١) إمبراطورية فى المزاد
(٢٢) الدنيا فوضى
(٢٣) أوزوريس
(٢٤) دار ابن لقمان
(٢٥) قطط وفيران
(٢٦) إله إسرائيل
(٢٧) هاروت وماروت
(٢٨) الزعيم الأوحد
(٢٩) جلفدان هانم

الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » :

(١) على أسوار دمشق
(٢) معركة الجسر
(٣) كسرى وقيصر
(٤) أبطال اليرموك
(٥) تراب من أرض فارس
(٦) رستم
(٧) أبطال القادسية
(٨) مقاليد بيت المقدس
(٩) صلاة فى الإيوان
(١٠) مكيدة من هرقل
(١١) عمر وخالد
(١٢) سر المقوقس
(١٣) عام الرمادة
(١٤) حديث الهرمزان
(١٥) شطا وأرمانوسة
(١٦) الولاة والرعية
(١٧) فتح الفتوح
(١٨) القوى الأمين
(١٩) غروب الشمس

رقم الإيداع ٢٦٥
الترقيم الدولى ٠ ــ ٤٧٢ ــ ٣١٦ ــ ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه